غازي عبد الرحمن القصيبي

دنسكو



غازي عبد الرحمن القصيبي





صدر للمؤلف عن دار الساقي

- العصفورية
- من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون
- هما
- العودة سائحاً إلى كاليفورنيا
- رواية ٧

الطبعة الثانية ٢٠٠٠

ISBN 1 85516 530 9

دار الساقي

بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)

e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 020-7221 9347; Fax: 020-7229 7492

المحتويات

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الإهـــداء

إلى

س. ف

ذكرى تجربة مثيرة

وما قضى أحدٌ منها لُبانتَه
ولا انتهى أَرَبٌ إلاّ إلى أرَبِ

المتنبّي

تمهيد

تدور حوادث هذه القصة الخيالية في منظمة دولية خيالية تُسمّى باللغة الإنجليزية:

DEPARTMENT OF ARCHEOLOGY, NATURE, SOCIOLOGY, KNOWLDGE, AND ORGANIZATION

وتعرف باسمها المختصر: DANSKO

وتُسمّى باللغة العربية: إدارة الآثار والطبيعة والاجتماع والمعرفة والتنظيم

وتعرف بإسمها المختصر: دنسكو

الفصل الأول

المدير التنفيذي

يناير ١٩٩٩

ظلّ البروفسور روبيرتو تشيانتي مسترخياً على مقعده الوثير وراء طاولته الضخمة ولكن أفكاره كانت تنتقل عبر القارات السِت، القارة العظمى، والقارة العذراء، والقارة الجنوبية، وقارة عربستان، وقارة الفرنجة، وقارة الروسلاند. كان يحاول أن يستنشق، بغريزته، مصدر الخطر القادم، وكانت غريزته تقوده إلى القارة العظمى، وإلى مُرشّحها الذي سيسرق الإدارة منه.

بدأ البروفسور يشعر بكثير من الشفقة على نفسه. لماذا يريدون أن يأخذوا منه هذه الإدارة التي أعطاها ١٠ سنوات هي أغلى سنوات حياته؟ الإدارة التي أعادها إلى الحياة بعد أن كادت تموت؟ الإدارة التي وضعها من جديد على الخارطة؟ انتقلت عينا البروفسور، لاشعورياً، إلى الحائط الأيمن من مكتبه حيث تمتد خارطة العالم وتملأ الجدار بأكمله. ثم انتقلت عيناه، لاشعورياً، إلى الحائط الأيسر واللوحات الخمس التي تزيّنه، وترمز كل لوحة منها إلى نشاط من أنشطة الإدارة.

استقرّت عيناه على اللوحة الأولى التي ترمز إلى الآثار، المعبد الفرعوني المُنتشل من أعماق البحيرة الصناعية. ألم يكن هو على رأس الحملة لإنقاذ الآثار في كلّ قارّة؟ ألم يعلّم أبناء القارة العذراء كيف يصنّفون المناطق الأثرية؟ ألم يكن المسؤول عن «معاهدة بيروت لمنع التجارة في المواد الأثرية»؟ ألم يحصل على جائزة جورباتشوف تقديراً لجهوده في ترميم آثار القياصرة؟

تحوّلت عيناه إلى اللوحة الثانية، لوحة الطبيعة، الصخرة المنبثقة من أعماق البحر الأزرق، وعليها ورود حمراء، وفوق الورود ترفرف فراشة بيضاء. الطبيعة! هل كافح أحد لحماية الطبيعة كما كافح هو؟ ألم يكن هو رئيس مؤتمر ريو لحماية البيئة؟ ألم يكن هو الذي أعدّ «معاهدة الرياض لحماية الحياة الفطرية الصحراوية»؟ ألم يعقد عشرات الندوات من أجل عيون البيئة؟ ألم يحصل على جائزة فورد تقديراً لجهوده في تنقية الهواء من التلوّث؟ هل يستطيع المُرشّح القادم، البطل المجهول، أن يفعل عشر معشار ما فعله هو؟

وشردت عيناه إلى اللوحة الثالثة، لوحة الاجتماع، السوق المزدحم بآلاف البشر. ألم يكن هو الذي أنشأ ٥٠ كرسيّاً لدراسة الإجتماع في القارات الستّ؟ ألم يكن هو القوّة المُحرّكة وراء «معاهدة نيويورك لحماية الحضارات البدائية»؟ ألم يكن هو المسؤول عن قرار الأمم المتحدة القاضي بإعلان سنة ٢٠٠١ سنة معرفة السلام؟ ألم يحصل على جائزة هنري كيسنجر تقديراً لجهوده في مكافحة الحروب الأهلية؟ هل يستطيع الفارس القادم من المجهول أن يقدّم عطاءً يوازي هذا العطاء؟

حطّت عيناه على اللوحة الرابعة، المعرفة، الكتاب المفتوح على مصراعيه. ألم تنخفض نسبة الأميّة في الدنيا خلال ولايته من ٣٦٪ إلى ٢٩٪؟ ألم يعقد ٣٠٠ مؤتمر مُخصّص لمشاكل المعرفة وتحدّياتها؟ ألم

يحصل على جائزة مايكل جاكسون تقديراً لجهوده في نشر المعرفة في القارة العذراء؟ هل بوسع المُرشّح القادم عمل أي شيء سوى سرقة منجزاته؟

توقّفت عيناه على اللوحة الخامسة، التنظيم، خليّة النحل. التنظيم! ألم ينشىء معهد أديس أبابا للتنظيم رغم معارضة المجلس؟ ألم يكن هو المسؤول عن قرار الأمم المتحدة القاضي بإعلان سنة ٢٠٠٢ سنة التنظيم؟ ألم يجعل الإدارة تصدر عشرات المراجع القيّمة عن التنظيم؟ ألم يحصل على جائزة مانديلا تقديراً لجهوده في تنظيم الأحزاب الديموقراطية؟

أيقظت البروفسور من أحلام اليقظة قبلة رقيقة على جبينه من كبيرة مستشاريه سونيا كليتور التي دخلت المكتب دون أن يحسّ بها. همست في أذنه:

- في ماذا تفكّر أيها الرجل العظيم؟

- أفكّر في الرجل العظيم الذي سيأخذ مني مقعدي.

- لن يستطيع أحد أخذ المقعد منك.

تنهد البروفسور، وقال:

- ألم تسمعي الإشاعات؟ سوف تتقدّم القارة العظمى بمُرشّح ولن يعارضها أحد. لا يوجد أمل يا سونيا.

جلست سونيا على مقعدها المعتاد أمامه، ووضعت رجلاً على رجل، وتركت فستانها ينزلق إلى الأعلى بنسبة تفوق النسبة المألوفة، ونظرت إلى المدير التنفيذي نظرة تقطر بالحنان، وقالت:

- روبيرتو! لا تيأس! أرجوك! هل تريد أن تعود إلى ذلك المختبر الكئيب في تلك الجامعة الكئيبة؟

التفت البروفسور إلى سونيا وأخذ يتأمّلها كما لو كان يراها لأول مرّة. هي الآن في الثلاثينات ولكنها لا تزال ساحرة كما كانت يوم أن دخلت هذا المكتب قبل ١٠ سنوات تحمل إليه رسائل تنتظر توقيعه. كانت، وقتها، مساعدة مدير المكتب، وأصبحت الآن كبيرة مستشاريه، إلا أن الرغبة العارمة في ضمّها كلّما قابلها لم تتغيّر. نظر إلى العينين الضاحكتين دوماً، إلى الثغر المبتسم طيلة الوقت، إلى الغمّازتين اللاعبتين على الوجنتين، ثم ارتفعت عيناه إلى الشعر الأشقر القصير، ثم هبطت عيناه إلى الصدر المنبثق كما تنبثق الصخرة من البحر في اللوحة، الصدر الذي قضى في صحبته أروع ساعات عمره، ثم هبطت عيناه تستعرضان الجسد الصغير الناضج، وتذكّر حبات المشمش في الحديقة الصغيرة في المنزل الصغير الذي وُلد فيه، المنزل الذي لا يزال يحبّ أن يقضي إجازاته فيه، منزل العائلة في ميلانو.

ظل صامتاً، واندفعت سونيا:

- روبيرتو! روبيرتو! تذكّر هذه السنوات العشر المجيدة. الدول التي تستقبلك استقبال الفاتحين. رؤساء الدول الذين يتسابقون لمصافحتك. الميادين التي سُمّيت بإسمك.

استمرّ المدير التنفيذي في وجومه، ونظرت سونيا بوَلَهٍ إلى الرجل الذي أحبّته كما لم تحب رجلاً قبله. الرجل الوسيم الجذاب الذي عشقته منذ أن رأته للمرة الأولى في المكتب، وكان أيامها في الأربعينات، الرجل الذي ازداد وسامة وجاذبية في الخمسينات.

قالت هامسة:

- روبيرتو! كيف تترك المجال لقزم هدفه تحطيم هذه الإدارة؟ لا بدّ أن تحارب. هذه إدارتك أنت! كلّ المنجزات منجزاتك أنت. كل

المسؤولين هنا مخلصون لك. تذكّر المستقبل المظلم الذي ينتظرك في . . . .

قاطعها:

- سونيا! أحياناً أعتقد أنك تنسين أني عالم ومكان العالم الطبيعي في مختبره.

- مكانك الطبيعي في هذا المقعد. مكانك الطبيعي عند دفة قيادة العالم مع رؤساء الدول. هل نسيت تلك الزيارة التاريخية لأسوان؟ هل نسيت عشرات الألوف الذين استقبلوك بالأغاني في شوارع موسكو؟ هل نسيت السيف المُرصّع بالجواهر. . .

لمعت عينا المدير التنفيذي، وابتسم وهو يقول:

- آه! السيف الذهبي! سونيا! ماذا حدث لذلك السيف؟

ضحكت سونيا ولم تجب، واستمرّ المدير التنفيذي:

- أشعر في عظامي أن أيامي هنا أصبحت معدودة. بدأتُ أتأقلم مع فكرة الحياة بدون الإدارة.

ارتفع صوت سونيا عن طبقته الرقيقة المألوفة، وقالت:

- روبيرتو! روبيرتو! هل جننت؟ صدّقني أنك لن تستطيع أن تعيش أسبوعاً واحداً بدون هذه الإدارة. سوف تموت من الكآبة. لقد أدمنت المجد، يا روبيرتو. لا بُدّ أن تعترف بذلك. أدمنت الطائرات الخاصة. والبساط الأحمر في كل مطار. ورؤساء الدول. والوزراء. والحاشية التي تحيط بك. وآلاف الرسائل التي تصلك كل يوم تلتمس عملاً في الإدارة. لا تقل لي أنك سوف ترجع إلى جامعتك الكئيبة.

- دعي جامعتي وشأنها.

ـ سمعاً وطاعة! سندع جامعتك وشأنها. ونبقى هنا. أنت وأنا. هنا! العالم يحتاج إليك، يا روبيرتو. ألا تدرك ذلك؟ مهمّتك لم تنته بعد. كُلّ الأفكار العظيمة التي هزّت ضمير الملايين خلال العقد الأخير جاءت من هنا. من هذا المكتب. منك أنت!

تنهّد المدير التنفيذي، وهمس:

ـ ولكن يبدو أنهم ملّوا منّي.

ـ الملل! طبيعة البشر الغادرة. حب التغيير. الدماء الجديدة. الدماء الجديدة هذه الأيام لا تحمل سوى فيروس الإيدز و...

ـ سونيا!

ـ حسناً! من يحتاج إلى دماء جديدة إذا كانت الدماء القديمة تعمل بكل حيويّة؟ يجب أن تحارب.

فجأة أومضت عينا البروفسور ببريق غريب، وقال:

ـ سونيا! أعتقد أنك على حق. سوف أحاول.

ـ لا! لا! لا يكفي أن تحاول. يجب أن تحارب.

ـ حسناً! سوف أحارب. من أين نبدأ؟

ـ الخطوة الأولى هي إقناع كلّ قارة، أعني كل قارة من القارات السّت، بتقديم مُرشّح. إذا كثر المرشحون لن يحصل أحد على الأغلبية المطلوبة.

ـ يبدو أن هناك اقتناعاً عامّاً أن المنصب هذه المرّة سوف يكون من نصيب القارة العظمى.

ـ هل نسيت الاقتناع العام الذي كان موجوداً قبل انتخابك؟ قضيتَ على الفكرة السائدة من قبل، وتستطيع أن تقضي عليها الآن.

ـ لنفترض جدلاً أنني استطعت إقناع بعض القارات. . .

قاطعته سونيا بعنف:

ـ لا! لا! كل القارات. لا بُدّ أن نقنع كلّ قارة بتقديم مُرشّح. إذا تقدّم ٦ مرشحين فلن يستطيع أحد منهم أن يحصل على الأغلبية.

ـ جرّب كل مدير تنفيذي قبلي هذه الحيلة ولم تنجح. ألا تذكرين ما فعل سلفي؟

ـ أولاً، أنت إنسان غير عادي. أنت إنسان عبقري. لست كالإمّعات الذين سبقوك. ثانياً، لم يسبق في تاريخ الإدارة أن تقدّم ٦ مرشّحين. هذا وضع جديد يواجه مجلس الحكماء، وضع لا بُدّ وأن ينتهي إلى طريق مسدود. سوف يُضطر المجلس إلى الإستعانة بك. سوف يتوسّل إليك أن تقبل ولاية ثالثة. ولا بُدّ أن تقبل. ليس لك خيار.

ـ وماذا عن القرار الذي. . .

قاطعته سونيا:

ـ لا يوجد قرار غير قابل للتأويل والتفسير. لماذا لا تستدعي مستشار الإدارة القانوني؟

ـ هذا الأبله المعتوه؟!

ـ هذا الأبله المعتوه يحفظ الميثاق، وكل قرار أصدره مجلس الحكماء، عن ظهر قلب.

رفع البروفسور سماعة التيلفون وطلب من سكرتيرته المسز وندي لايفلاين أن تطلب من المستشار القانوني الحضور. بدون أن

تتكلم، قامت سونيا من مقعدها واتّجهت إلى الرجل الذي تحبّه، وقبّلته قبلة طويلة عميقة لم يقطعها إلا صوت طرقات على الباب.

دخل الدكتور رأفت اليرقان يحمل الكثير من الملفّات. انحنى بخضوع، وتمتم:

- سيّدي المدير التنفيذي! كيف...

قاطعه البروفسور:

- بخير! إجلس يا رأفت. أريد أن أبحث معك موضوع الانتخاب القادم.

كما لو كان جهاز تسجيل أدير فجأة انطلق المستشار القانوني:

- يتولّى مجلس الحكماء انتخاب المدير التنفيذي. ويتألف مجلس الحكماء من ٦ أعضاء تختار كل قارة حكيماً بالاقتراع السرّي، بالإضافة إلى حكيم سابع يختاره الأعضاء السّتة بالاقتراع السرّي دون اعتبار للقارّة. ويتم انتخاب المدير التنفيذي كل ٥ سنوات ولا بُدّ أن يحصل المرشح على ٤ أصوات...

نظر المدير التنفيذي إلى سونيا نظرة تفسيرها: «ألم أقل لك؟!»، ثم قاطع المُسجّل البشري:

- ألا تعتقد أني أعرف هذا كلّه يا غبي؟!

احمرّ وجه رأفت اليرقان، وقال:

- سيدي المدير التنفيذي! هناك ٦ دورات...

قاطعه مرة أخرى:

- وأعرف هذا يا أبله!

تدخّلت سونيا وقالت بنعومة:

- ماذا عن القرار الذي يقصر مدة الولاية على فترتين من ٥ سنوات؟

أشرق وجه المستشار القانوني، وقال:

- أعددت مذكّرة قانونية وافية أثبتُ فيها بما لا يقبل الشّك أن هذا القرار لا يسري على السيّد المدير التنفيذي الحالي، لأنه صدر خلال ولايته، ولكنه يسري على أي مدير تنفيذي قادم. ولو قلنا بسريانه على المدير التنفيذي الحالي لكان معنى ذلك أننا نجري النصّ بأثر رجعي، وقد قررت محكمة العدل الدولية في حكمها الصادر...

قاطعة سونيا برقّة:

- دكتور اليرقان! رأيك سديد بلا شك. ولكنك تعرف أن مجلس الحكماء لم يأخذ بهذا التفسير.

تململ المستشار القانوني في مقعده، وقال:

- الرأي القانوني السليم يبقى سليماً ولو عارضته الدنيا بأسرها. القوّة لا تصنع الحق، والباطل لا...

قاطعته سونيا مجدّداً:

- ما هو الوضع لو فشل مرشح في الحصول على الأغلبية المطلوبة بعد الدورات الستّ؟

قال المستشار القانوني:

- لم يحدث في تاريخ الإدارة أن...

زجره المدير التنفيذي:

ـ لا نريد درساً في التاريخ. أجب على سؤال سونيا:

احمرّ وجه المستشار القانوني، وأغمض عينيه، وبدأ جهاز التسجيل ينطق:

ـ يجوز لمجلس الحكماء إذا تعذّر الوصول إلى مُرشّح يحصل على الأغلبية المطلوبة بعد الدورة السادسة أن يتخذ الإجراء الذي يراه ملائماً لشغل وظيفة المدير التنفيذي.

قال البروفسور:

ـ ماذا عن القيود والشروط؟

ـ لا يوجد سوى قيد واحد. ألاّ يكون المدير التنفيذي الذي يختاره المجلس عضواً في المجلس.

سألت سونيا:

ـ وماذا عن المدّة؟

قال المستشار القانوني:

ـ على مجلس الحكماء أن يتخذ قراره خلال ٤٨ ساعة من انتهاء الدورة السادسة.

ساد المكتب صمت قصير، قطعه المدير التنفيذي:

ـ إسمع يا رأفت! أريد منك أن تفكّر. أن تفكّر جيّداً. «يجوز للمجلس أن يتخذ الإجراء الذي يراه ملائماً». هل يعني ذلك أن من حق المجلس أن يختار شخصاً لم يكن ضمن المرشحين؟

ـ بكل تأكيد.

ـ حسناً! هل يعني ذلك أن للمجلس إلغاء قراره القديم المتعلق بالفترتين؟

ـ سيّدي المدير التنفيذي! لديّ مذكرة قانونية جاهزة تثبت أن التفويض جاء بصفة مطلقة بحيث يحق للمجلس اتّخاذ أيّ قرار، وأعني أيّ قرار، بما في ذلك إلغاء القرارات السابقة للمجلس أو تغيير الميثاق.

تنهّدت سونيا بارتياح، وقالت:

ـ هذا ما أردت أن أسمعه. شكراً دكتور اليرقان.

خرج المستشار القانوني، والتفتت سونيا إلى عشيقها:

ـ سمعت بإذنك، إذا لم ينجح أيّ مرشح في الحصول على ٤ أصوات فلن يكون أمام المجلس خيار سواك. من أين يحصلون على مرشح مناسب خلال ٤٨ ساعة؟ لا تنس أن الدنيا بأسرها، باستثناء بعض الطموحين التافهين، تقف معك.

أومضت عينا البروفسور من جديد بالشعاع الغريب، وقال:

ـ سونيا! عليكِ أنتِ أن تقودي هذه المعركة بنفسك.

ـ ومن قال أني سأتركها لغيري؟ استدع مستشاريك لشؤون القارات، المستشارين السّتة، واطلب من كل منهم أن يقنع قارّته بتقديم مرشّح، واترك الباقي لي.

هذه المرة قام المدير التنفيذي من مقعده وانتقل إلى سونيا، وقبّلها قبلة طويلة عميقة لم يقطعها سوى صوت طرقات على الباب.

أبعد البروفسور وجهه عن وجهها وقال:

ـ آسف! وزير الثقافة في دولة...

ـ إذا لم تبق في هذا المكتب فلن يقف الوزراء أمام بابك. لن يقف أمام بابك سوى طلّاب يعدّون بحوثاً عن الحياة الجنسية للنملة.

الفصل الثاني
مجلس الحكماء

يناير ١٩٩٩

استقرّ عرف المجلس على أن يتولى الحكيم السابع، الذي لم تنتخبه قارة بعينها، رئاسة المجلس. وبدأت الجلسة بكلمة من الرئيس:

ـ الزملاء الأعزاء، حكماء العالم! بعد ٩ شهور تنتهي ولاية المدير التنفيذي الحالي ويتعين علينا اختيار المدير الجديد. فُتِح باب الترشيح كما تعلمون منذ ٣ شهور ولم يصلنا أي ترشيح، وإن كنت أتوقّع أن الترشيحات في الطريق. وقد رأيت أن نجتمع اليوم لنبحث الإجراءات التي ترون اتخاذها لتسهيل عملية الاختيار. ولا أظنني في حاجة إلى التذكير أننا أقسمنا يميناً مغلّظة عند انتخابنا بأن نصرف النظر عن أية اعتبارات قاريّة، أو وطنية، أو شخصية، وأن ننظر إلى مصلحة العالم كلّه. السؤال الأول يتعلق بعدد المرشّحين. ماذا تقولون؟

طلب حكيم القارة العظمى الكلمة، وقال:

ـ سيدي الرئيس الحكيم! لا يخفاكم ولا يخفى الزملاء الحكماء

أن الميثاق لم ينصّ على عدد معيّن، وأرى أن نترك الأمر كما تركه الميثاق.

تساءل الرئيس:

- وماذا عن العُرف؟

قال حكيم القارة الجنوبية:

- جرى العمل في الماضي على تقدّم مرشحيْن اثنيْن من قارتيْن مختلفتيْن، وأعتقد أن أكبر عدد وصل إليه المرشحون في الماضي كان ثلاثة.

قال الرئيس لسكرتير مجلس الحكماء:

- نوِّر المجلس.

قال السكرتير:

- من حيث المبدأ، يجوز لكل قارّة تقديم مُرشّح أو أكثر. من حيث الواقع العملي، لم يسبق لأي قارة أن تقدّمت بأكثر من مرشح واحد. وكما ذكر السيّد الحكيم لم يصل عدد المرشحين إلى أكثر من ثلاثة جاءوا من ٣ قارات.

تساءل الرئيس:

- هل تستحسنون، إذن، أن نترك الباب مفتوحاً؟ أن نترك لكل قارة الحق في ترشيح واحد؟ أو أكثر؟

وافق الحكماء، وانتقل الرئيس إلى النقطة التالية:

- الانتخاب سوف يتم في العاشر من سبتمبر ١٩٩٩. متى ترون أن يغلق باب الترشيح؟ أطلب من سكرتير المجلس الإفادة بما جرى عليه العمل.

قال السكرتير:

- لا يوجد نصّ في الميثاق يتعرّض لهذه النقطة. والمسألة متروكة لتقدير المجلس الموقر. في الانتخابات الماضية كان باب الترشيح يقفل قبل الانتخاب بشهرين.

تساءل الرئيس:

- هل ترون الإبقاء على هذا التقليد؟

وافق الحكماء، وقال الرئيس:

- يقرر المجلس، إذن، قفل باب الترشيح في العاشر من شهر يوليو ١٩٩٩. وعلى سكرتير المجلس إبلاغ جميع الدول الأعضاء في الإدارة بذلك.

رفع حكيم عربستان يده، وأُعطي الكلمة، وقال:

- سيّدي الرئيس الحكيم! أخبرني زميل سابق في مجلس الحكماء أنه سبق للمجلس في الماضي أن اختار مرشّحين لم يرهم أعضاء المجلس ولم يتحدثوا معهم.

علت همهمات استغراب من كل مكان، والتفت الرئيس إلى سكرتير المجلس وسأله:

- هل هذا صحيح؟

ردّ السكرتير:

- من الناحية النظرية، لا يوجد في الميثاق نصّ يوجب لقاء المرشحين بأعضاء المجلس الموقّر. من الناحية الفعلية، كان كل مرشح يلتقي بكل حكيم، مراراً وتكراراً.

قال حكيم عربستان بغيظ لم يحاول إخفاءه:

ـ مع تقديري لما سمعته الآن، أنا متأكّد من صحة المعلومات التي سمعتها من الحكيم.

قال الرئيس:

ـ لا يمكن لحكيم أن يكذب. هذه استحالة منطقية.

قال السكرتير بأدب:

ـ سيّدي الرئيس الحكيم! أعتقد أن ما قصده السيّد الحكيم السابق، وحاشاه أن يكذب، وحاشى ناقل المعلومة أن يكذب، هو أن المجلس لم ينعقد بكامل هيئته ليناقش أي مرشّح. هذا صحيح.

ثارت همهمات الاستغراب مرّة أخرى، وقال الرئيس:

ـ هذا أمر يمكن أن نتداركه الآن. ما رأيكم في أن نتّخذ قراراً باستدعاء كل مرشّح ومناقشته بصفة جماعية ليمكن أن يكون حكمنا عليه دقيقاً وموضوعياً؟

قال حكيم الفرنجة:

ـ سيّدي الرئيس الحكيم! ما دام كُلّ مرشّح سوف يجتمع بكل حكيم فما هو مبرّر اللقاء الجماعي؟ أخشى أن يضيع وقت المجلس الموقّر في ثرثرة لا طائل من ورائها.

قال حكيم عربستان:

ـ سيّدي الرئيس الحكيم! فكرة الزميل الحكيم وجيهة بلا شك. ولكن يجب أن نتذكر أن ما يقوله المرشح للواحد منا قد يختلف عما يقوله للباقين. أعتقد أن اللقاء الجماعي سوف يكشف لنا نوايا المرشّح الحقيقية.

أقرّ الحكماء فكرة اللقاء، وتساءل الرئيس:

ـ كم ترون أن نخصّص من الوقت لكلّ مرشح؟

قال حكيم الروسلاند:

ـ ساعة واحدة على الأقل.

تدخّل حكيم الفرنجة:

ـ لا بدّ أن تتاح الفرصة لكل حكيم كي يوجّه للمرشّح ما يشاء من أسئلة.

قال الرئيس:

ـ في هذه الحالة، لا تكفي ساعة واحدة.

استمرّ النقاش، حتى تمّ الاتفاق على أن يُخصّص لكل مرشح نصف ساعة لتقديم برنامجه، ونصف ساعة للإجابة على الأسئلة، على أن يكون لكل حكيم الحق في توجيه سؤالَيْن فقط.

قال الرئيس:

ـ ألا ترون أن يوافينا كل مرشّح بشيء مكتوب قبل الاجتماع؟

أطلب من سكرتير المجلس إفادتنا.

قال السكرتير:

ـ سيّدي الرئيس الحكيم! جرت العادة في الماضي على أن يُوضّح كلّ مرشّح برنامجه في الصحف ووسائل الإعلام. ولم يسبق أن تقدّم مرشّح ببرنامج مكتوب للمجلس الموقر.

قال حكيم الفرنجة:

ـ أتوقع هذه المرّة أن تدور الحملة في فضاء الأنترنت.

تساءل الرئيس:

ـ هل ترون ترك الموضوع لكل مرشّح، أم طلب برنامج مكتوب من الجميع؟

بعد النقاش اتفق الحكماء على أن يتقدم كل مرشّح ببرنامج مكتوب لا يتجاوز ٢٠٠٠ كلمة يتناول فيه نظرته إلى مستقبل الإدارة والخطط التي ينوي تنفيذها في حالة انتخابه. كما اتفق الحكماء على أن يتم تقديم هذا البرنامج في أي وقت قبل إقفال باب الترشيح. وأعلن الرئيس ختام الجلسة.

ما كاد الرئيس ينتقل من طاولة الاجتماعات إلى طاولته حتى أقبلت سكرتيرته السمراء ماندي نارين تخبره أن كبيرة المستشارين تودّ مقابلته. دخلت سونيا يسبقها عطرها كالمعتاد، واتجهت، كالعادة، مباشرة إلى الرئيس وقبّلته على جبينه، وجلست على المقعد أمامه، ووضعت رجلاً على رجل، وقالت:

ـ أظنك تعرف لماذا جئت.

نظر الرئيس، الذي تجاوز السبعين، إليها نظرة لا يعرف هل حملت عطف الأب أم شبق المراهق أم مزيجاً من الاثنين، وقال:

ـ بطبيعة الحال! جئت لإقناعي بإعطاء صديقك ولاية ثالثة. سونيا! ألا تسأمين؟ ألا تتعبين؟

ـ لن أسأم ولن أتعب.

ـ أنت تعرفين القرار.

ـ وأنت، سيّدي الرئيس الحكيم، تعرف أن المستشار القانوني للإدارة يرى أن القرار لا يسري على المدير التنفيذي الحالي.

ـ المستشار القانوني! المندوب المؤقت الذي عينه صديقك في الجهاز كما عيّن عشرات المندوبين دون أي مؤهّلات سوى الطاعة

العمياء. معلومات المستشار القانوني في القانون تعادل معلوماتي عن الرقص في الديسكو.

ضحكت سونيا، وقالت:

ـ كنت أعتقد أنك من أبطال الرقص في الديسكو.

نظر الرئيس إليها بعتاب وقال:

ـ سونيا! سونيا كليتور! أنا رئيس مجلس الحكماء. ومجلس الحكماء ضمير العالم. هل رأيت ضميراً يرقص؟

ضحكت سونيا بغنج، وقالت:

ـ ضميري يرقص طيلة الوقت. وضمير العالم المكروب لا يضيره أن يرقص قليلاً. ولكنني لم أجيء هنا لأناقش الضمائر. جئت لأناقش مستقبل الإدارة.

ـ مستقبل الإدارة أمانة ثمينة في يد مجلس الحكماء، أمانة لن يفرّط المجلس فيها.

ـ أعرف هذا، سيدي الرئيس الحكيم، أعرفه جيداً، ولهذا جئت إليك. لن تعثروا على مرشّح أفضل من البروفسور تشاينتي.

ـ لقد أُعطي المدير التنفيذي الحالي الفرصة كاملة، وتولّى المسؤولية فترتين، وقدّم كل ما لديه. آن الأوان للبحث عن شخص جديد. كثرت الانتقادات الموجهة إلى الإدارة وأصبحت سمعتها في الحضيض. ألا تقرأين الصحف، يا سونيا؟

ـ الصحف! الصحف تحمل الفضائح اليوم وتلفّ السندويشات غداً. لولا البروفسور تشاينتي لماتت الإدارة. ثم هل سمعت عن إدارة دولية واحدة لا توجّه إليها الانتقادات؟

ـ سونيا! أنا لست مسؤولاً عن إدارات العالم. أنا مسؤول عن هذه الإدارة. هناك إجماع على ضرورة التغيير. إجماع داخل القارات. وإجماع داخل المجلس. صدّقيني أننا سوف نبحث عن مدير تنفيذي جديد حتى لو لم يوجد القرار الذي يمنع التجديد.

نظرت إليه سونيا بكثير من العتاب، واتجهت إليه وقبّلته مرة أخرى على جبينه، وقالت:

ـ سيّدي الرئيس الحكيم! مزاجك اليوم لا يناسبني. سوف أواصل الحديث معك في فرصة أخرى.

ما إن خرجت سونيا حتى عادت السكرتيرة تقول للرئيس إن المدير التنفيذي يرغب في رؤيته. وبدأت اللعبة المعهودة:

ـ أخبريه أني مستعدّ لمقابلته الآن. فليتفضل!

ـ قال لي إنه ينتظرك الآن في مكتبه.

ـ قولي له إذا كان يريد أن يقابلني فليأت هو.

هذه اللعبة لم تتوقف منذ سنوات، وكانت، في العادة، تنتهي بانتصار المدير التنفيذي، وذهاب رئيس مجلس الحكماء إليه في مكتبه. حقيقة الأمر، أن المنافسة بين رئيس مجلس الحكماء وبين المدير التنفيذي بدأت مع مولد الإدارة. قرّر الرئيس أن الأمور تغيّرت الآن، وأن ميزان القوى انقلب. قال للسكرتيرة:

ـ ماندي! لماذا لا تزالين واقفة هنا؟ قولي له إني لن أذهب إليه.

بعد دقائق دخل المدير التنفيذي يحمل ابتسامته المصطنعة، وتودّده المصطنع، وصافح رئيس مجلس الحكماء بحرارة مصطنعة، وقال:

ـ جئت لأبحث معك بعض الأمور تمهيداً لعرضها على المجلس الموقر.

ذهب زمان المجاملات! قال الرئيس:

ـ حسناً! إبحث ما شئت. ولكن دعني أقل لك شيئاً قبل أن تبدأ. لا مؤتمرات جديدة! لا مؤتمرات جديدة! هل سمعت؟

قال المدير التنفيذي بهدوء مصطنع:

ـ ولكنني أعددت العدة لعقد مؤتمر في استوكهلم لحماية الحشرات المنقرضة ولا يمكن الآن...

قاطعه الرئيس:

ـ أعددت العدة؟! ولماذا أعددت العدّة؟! هل هناك قرار من مجلس الحكماء؟ هل هناك اعتماد في الميزانية التي أقرّها مجلس الحكماء؟

فوجىء المدير التنفيذي بالنبرة الحادة غير المألوفة، وصمت لحظات حتى استطاع التغلّب على الغضب المباغت الذي اعتراه، ثم قال:

ـ ولكن المجلس الموقّر لم يرفض لي طلباً من قبل. والتمويل يمكن أن يجيء من مصادر خارج الميزانية. حقيقة الأمر أن شركة مبيدة للحشرات أعلنت عن استعدادها لتمويل المؤتمر.

أطلق الرئيس ضحكة مجلجلة، وقال:

ـ شركة مبيدة للحشرات تموّل مؤتمراً لحماية الحشرات المنقرضة؟! ذئب يرعى الغنم!

قال المدير التنفيذي:

ـ يمكن البحث عن تمويل من مصدر آخر.

قال الرئيس:

ـ لا مؤتمرات جديدة! أصدر المجلس في دورته الماضية قراراً واضحاً وحاسماً لا يحتمل التأويل. لا مؤتمرات خلال الميزانية الحالية. لا للحشرات ولا للديناصورات.

نظر المدير التنفيذي إلى رئيس مجلس الحكماء ببرود، وقال:

ـ هل هذا رأيك الشخصي؟ أم رأي المجلس الموقر؟ أم رأي القارات؟

لم يسمح الرئيس لنفسه بالوقوع في فخ الإجابة المنفعلة. يدرك الرئيس أن المدير التنفيذي كثيراً ما نجح في الماضي في شق وحدة المجلس، وكثيراً ما نجح في تجاهل المجلس نهائياً والذهاب مباشرة إلى رئيس الاتحاد في كل قارة. لن يتمكن، هذه المرة، من استخدام حيله القديمة.

قال للمدير التنفيذي بكل هدوء:

ـ القارات فوّضت مجلس الحكماء في اتخاذ كافة القرارات، أكرّر كافة القرارات، المتعلقة بهذه الإدارة. وقرّر مجلس الحكماء أنه لن تعقد أي مؤتمرات خلال هذه الميزانية. إذا أردت أن تسمع هذا الكلام، مرة أخرى، من المجلس فسوف تسمعه مرة أخرى في دورة المجلس القادمة. وفي هذه الأثناء أرجو ألاّ تتخذ قرارات قد يضطر المجلس إلى إلغائها وتوجيه اللوم...

قاطعه المدير التنفيذي بحدّة:

ـ السيد الرئيس الحكيم! مع احترامي الشديد للمجلس الموقّر سوف استمر في ممارسة مهامي الدستورية التي نصّ عليها ميثاق الإدارة ولن أتردد...

قاطعه الرئيس:

- السيد المدير التنفيذي! الميثاق هو الذي جعل مجلس الحكماء الجهة المسؤولة عن الإدارة. أنت مجرّد موظف مهمّتك تلقّي تعليمات المجلس.

- مع احترامي الشديد، أنا لست مجرد موظف يتلقى التعليمات. أنا القائد الأعلى لهذه الإدارة، وأنا منتخب من قبل العالم كله.

- أنت منتخب من قبل المجلس. وبعد ٩ شهور سوف يختار المجلس مديراً تنفيذياً جديداً. دع الأمور تمرّ بلا مشاكل. لا مؤتمرات جديدة! لا مساعدون جدد! لا مستشارون جدد!

فقد المدير التنفيذي أعصابه، وقام من المقعد وأخذ يتجول عبر المكتب، وهو يصيح:

- المساعدون! المساعدون! ألن ينتهي الحديث عن المساعدين؟ لديّ ٢٠ مساعداً. هل هذه نهاية العالم؟ كيف أعمل بدون مساعدين؟ هل لديّ ألف يد؟ هل لديّ ألف رجل؟ إدارة تخدم ٦ بلايين إنسان وتستكثرون عليها ٢٠ مساعداً؟ هل هؤلاء المساعدون يلعبون؟ هؤلاء الجنود المجهولون المساكين يعملون ليل نهار في ظروف بالغة الصعوبة. هل أستطيع أن أعمل بلا مساعد لشؤون الآثار، ومساعد لشؤون الطبيعة، ومساعد لشؤون الاجتماع، ومساعد لشؤون المعرفة، ومساعد لشؤون التنظيم؟! هل أستطيع...

- هؤلاء المساعدون لا اعتراض عليهم. وقد جاءت وظائفهم في الخارطة التنظيمية التي أقرها المجلس. الاعتراض على الباقين الذين تعيّنهم كما يروق لك.

واصل المدير التنفيذي، الذي وقف مضطراً، حركته وصياحه:

ـ كما يروق لي؟! كما يروق لي؟! طبيعة العمل تطلبت تعيين الباقين. القارة العذراء، بموجب كل القرارات الدولية، تحتاج إلى رعاية خاصة، ولهذا قررت تعيين مساعد يتابع هذه الأولوية. النساء لهن أولوية خاصة، ولا بد من مساعد يتأكد من أننا نسير في الاتجاه الصحيح. الشباب لهم...

قاطعه الرئيس بعنف:

ـ روبيرتو! روبيرتو! اجلس على المقعد رجاءً. ولا تصرخ. أنا مصاب بالصداع اليوم. سمعت هذه المحاضرة من قبل عشرات المرات. قلت لك: لا مساعدون جدد، ولا مستشارون جدد.

لم يكد المدير التنفيذي الذي كان يهمّ بالجلوس يسمع كلمة مستشارين حتى انتفض قائماً، وواصل الدوران والصراخ:

ـ المستشارون! المستشارون! المستشارون! هؤلاء المستشارون يشيرون عليّ. عليّ أنا! عليّ أنا وحدي! لا علاقة لأحد غيري بهؤلاء المستشارين. أنا المسؤول عن رواتبهم. أنا الذي أحصل على التمويل الذي تُدفع منه مخصصاتهم. ميزانية الإدارة لم تمس. من حقي أن...

قاطعه الرئيس:

ـ حتى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لا يوجد لديه ٥٠ مستشاراً.

واصل المدير التنفيذي الحركة والصراخ:

ـ رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لديه بيروقراطية فيدرالية من مليون شخص. ورئيس..

قاطعه الرئيس:

ـ وهذا ما تنوي أنت عمله لو تُرك لك المجال. روبيرتو! آسف! لديّ موعد آخر. سوف نستأنف النقاش في وقت آخر.

خرج المدير التنفيذي في أقصى حالات الغضب.

دخلت ماندي بمجرد خروج المدير التنفيذي، ونظرت إلى الرئيس الذي ابتسم لها وقال:

ـ ماندي! أنا في حاجة إلى من يخفّف عني العناء.

ما إن سمعت ماندي هذه الجملة/ الشيفرة حتى أقفلت الباب، وانتقلت إلى مقعد رئيس الحكماء، وجلست كطفلة صغيرة في حضنه، وانهمكا في قبلات حارة.

الفصل الثالث
المستشارون

يناير ١٩٩٩

بدأ المدير التنفيذي بمستشاره لشؤون القارة العظمى، بهرام ينْ ينْ:

- ما هي الأخبار يا بهرام؟
- سيدي المدير التنفيذي! أظنك تعرفها.
- قررت القارة العظمى تقديم مرشح؟
- نعم.
- وحشدت له كل أسباب الدعم؟
- نعم.
- ويتوقّع الجميع نجاحه؟

تردد المستشار، ثم قال:

- يتمنى الجميع أن تبقى أنت.

ابتسم المدير التنفيذي، وقال:

- شكراً! ماذا عن موقف القارات الأخرى؟

- هناك شعور عام أن المنصب هذه المرة يجب أن يذهب للقارة العظمى.

- ومن أين جاء هذا الشعور العام؟

- سيدي المدير التنفيذي! العارف لا يُعرَّف.

- عرّفني رجاءً.

- قدّمت الدولة التي تقدمت بالمرشح الدعم المادي لمعظم دول العالم.

- ومنذ متى أصبح هذا المنصب لأكبر المنفقين؟ منذ متى تحول المعيار من معيار ثقافي علمي إنساني إلى معيار مادي؟ سوف يكون هذا التحول نهاية الإدارة.

- سيدي المدير التنفيذي! يعلم الجميع أنك انتُخبت بسبب مؤهلاتك الفريدة وسجلّك الإنساني الحافل.

- انتُخبت لأن العالم قرّر أني الشخص الأفضل لهذه المؤسسة. لا بسبب دولة تنفق البلايين.

- سيدي المدير التنفيذي! أخشى أن الوضع تغيّر منذ انتخابك.

- تغيّر؟ تقول لي أنا تغيّر؟ أنا مُحرّك التغيير. أنا الذي قلت في كل خطبة من خطبي إن التغيير قانون الطبيعة الوحيد الذي لا يتغير. أنا الذي صرّحت أنه ما من سبيل للتعامل مع التغيير سوى الاستثمار فيه. ألم أكن أنا الذي أنشأت وحدة التفكير في المتغيّرات ووضعت على رأسها موظفاً بدرجة مساعد المدير التنفيذي؟ ألم أكن أنا الذي

عقدت مؤتمر لاس فيجاس للتخطيط المستقبلي؟ تحدّثني أنا عن التغيير؟!

ـ سيدي المدير التنفيذي! لا أقصد التغييرات الإيجابية التي عملت ولا تزال تعمل معها ومن أجلها. أقصد التغييرات السلبية.

ـ ماذا تعني بالضبط؟

ـ أعني أن الإدارة فقدت براءتها القديمة. النظرة الشائعة الآن هي أن الإدارة معروضة لمن يدفع أكثر.

قام المدير التنفيذي من مقعده، وأخذ يتجوّل في المكتب، وهو يصرخ كمن أصابه مسّ:

ـ دنسكو للبيع؟! دنسكو للبيع؟! هذه نهاية الحضارة. أوشك أن أقول هذه نهاية العالم. هذه إدارة المعرفة. هذه إدارة المجتمع. هذه إدارة التنظيم. كيف تُعرَض للبيع؟ بهرام! قل إنك تمزح. قل إنك تداعبني. هذه الإدارة ضمير العالم. من يبيع ضمير العالم؟

يدرك بهرام من تجربته الطويلة مع المدير التنفيذي أنه حين يبدأ نوبة من نوباته التمثيلية لا يتوقّع أي أجوبة حتى حين يطرحها، لا يتوقع سوى الصمت حتى ينتهي.

استمرّ الصراخ:

ـ تكلم! تكلم! ماذا يتبقى للإنسانية إذا بيعت هذه الإدارة؟ هنا نبض الإنسانية. هنا روحها. هنا أملها. هل يمكن للإنسانية أن تواجه أعاصير الحروب والعولمة والفقر المدقع والأيدز إذا كانت تعرض خط دفاعها الأول والأخير للبيع؟

استمرّ المدير التنفيذي يتجول حتى عاد إليه الهدوء، فرجع إلى مقعده وسأل المستشار:

ـ بهرام! أنت تعرف رئيس اتحاد القارة العظمى جيداً، أليس كذلك؟

ضحك بهرام. هو يعرف، كما يعرف المدير التنفيذي، أن رئيس اتحاد القارة العظمى عمّه، وأنه لم يُعينّ في وظيفته إلا لهذا السبب، غير أنه اكتفى بالقول:

ـ تستطيع أن تقول ذلك.

ـ وتمارس بعض التأثير عليه؟

ـ أحياناً.

ـ وأنت تودّ أن أبقى في موقعي؟

ـ أقسم...

ـ لا حاجة إلى القسم. هل بإمكاني الاعتماد عليك؟

ـ أنا مستعد لافتدائك...

ـ أشكرك! أعرف مدى ولائك. لا أريد سوى خدمة بسيطة.

ـ أنا رهن إشارتك.

ـ إذهب إلى رئيس اتحاد القارة العظمى وأقنعه بتقديم مرشح ثان.

نظر إلى المستشار باستغراب، وقال:

ـ سيدي المدير التنفيذي! أنت تعرف أن دولة القارة العظمى رقم ٤٠ أقنعت كل دول القارة بالوقوف وراء مرشّح واحد، هو مرشحها. أنت تعرف...

ـ أنا أعرف أنك نجحت في كل مهمة كلّفتك بها، ولا أتوقع

أن تفشل في هذه المهمة.

- ولكن...

- ذكّر رئيس الاتحاد بكل ما فعلت من أجل القارة العظمى، أنت تعرف كل المنجزات.

- سأحاول.

- لا تحاول. إرجع بمرشح ثان.

❁ ❁ ❁

بعد بهرام ين ينْ، جاء دور شفيقة سمسم مستشارة المدير التنفيذي لشؤون قارة عربستان. بادرها:

- ما هي أخبار الترشيح؟

ابتسمت شفيقة، التي لا تزال تخوض معركة يائسة ضد سونيا للفوز بقلب المدير التنفيذي، ابتسامتها المُعدّة لمواقف الإغراء، وقالت:

- يتمنى الجميع أن تبقى أنت.

- دعينا من الأمنيات. ما هي الأخبار؟

- لا توجد أخبار. توجد إشاعات.

- هنا أكبر مطبخ للإشاعات في العالم. هاتي!

- يدور الحديث عن مرشّح تقدّمه القارة العظمى.

إنتظر المدير التنفيذي أن تكمل شفيقة، الثرثارة عادة، حديثها إلا أنها اكتفت بهذه الجملة. سألها:

- وماذا عن بقية القارات؟

ـ يقال إن الدولة رقم ٤٠ في القارة العظمى أقنعت بقية...

إمتقع وجه المدير التنفيذي، وقال:

ـ منذ متى أصبحت الدنيا كلها ملكاً للدولة رقم ٤٠؟ منذ متى؟ منذ متى؟ منذ متى انهارت كل القيم وماتت كل المبادىء؟

أدركت شفيقة أنها توشك أن تشهد نوبة تمثيلية، ولم يخب ظنها. قام المدير التنفيذي من مقعده وبدأ يمشي وهو يصرخ:

ـ القارة العظمى! القارة العظمى! القارة العظمى! سُمِّيت العظمى لكثرة سكانها، المصابين بالفقر والأميّة وكل بلاء، لا لعظمتها. هل صدّقت أنها العظمى؟ وماذا عن بقية القارات؟ هل تحولت السيادة إلى قارة واحدة وإلى دولة واحدة داخل هذه القارة؟ ولماذا تتنكر لي القارة العظمى؟ لماذا تطعنني من الخلف؟ لماذا تحاربني؟ هل فعل أحد ما فعلته للقارة العظمى؟ هل حصل أحد على جائزة غاندي للتفكير المسالم قبلي؟ ما هي حكاية القارة العظمى، ودولتها المدللة؟

إنتهت النوبة، التي كانت قصيرة هذه المرّة، وعاد المدير التنفيذي إلى هدوئه وإلى مقعده، وقال:

ـ شفيقة! أنت تعرفين رئيس اتحاد عربستان، أليس كذلك؟

تعرف شفيقة، كما يعرف المدير التنفيذي، كما يعرف كل إنسان في الجهاز، أن رئيس اتحاد عربستان هو خالها.

إكتفت بالابتسام، واستمرّ المدير التنفيذي:

ـ أريد منك أن تذهبي إليه وتبلغيه رجاءً خاصاً مني.

ـ لم يخيّب لك رجاءً من قبل.

ـ وأرجو ألا يخيّب رجائي هذه المرّة.

ـ ماذا تأمر؟

ـ أريد من قارة عربستان أن تتقدم بمرشّح.

ظهرت دهشة مباغتة على وجه شفيقة، وقالت:

ـ يقال إن هناك اتفاقاً بين...

قاطعها المدير التنفيذي:

ـ هناك من يظن أن الأمر انتهى وأن مرشح القارة العظمى سوف يظفر بالمنصب. لا! لا! لا! لا! أخبري صديقي رئيس اتحاد عربستان أني لن أترك المنصب إلا لمرشّح عربستاني. أطلبي منه أن يختار شخصية لائقة بتمثيل القارة، ويترك الباقي لي. قولي له إنني أتعهّد بشرفي أن المدير التنفيذي القادم سوف يكون مرشّح عربستان.

ـ سوف أبذل جهدي.

ـ سافري فوراً.

نظرت إليه شفيقة بتردد، وقالت:

ـ القسم المالي...

قاطعها:

ـ على القسم المالي اللعنة! هناك مؤتمر لإنقاذ المعابد المطمورة. أخبري القسم المالي أني كلفتك بحضور المؤتمر.

❀ ❀ ❀

نظر المدير التنفيذي إلى أمبوكو بيتيكي مستشاره لشؤون القارة العذراء، وقال:

ـ ما هي آخر أخبار الترشيح؟

ـ رد المستشار بحذر:

ـ الكلام كثير. والمعلومات قليلة.

ـ لماذا تتكلّم وكأنك عضو في مجلس الحكماء؟ حدثني عما سمعت.

ـ سمعت أن القارة العظمى...

قاطعه رئيسه بحدة:

ـ أقنعت بقية القارات بعدم تقديم مرشّحين حتى تضمن الفوز لمرشّحها.

ـ هذا، بالفعل، هو ما يتردد.

ـ وماذا تنوي أن تفعل؟

علت وجه المستشار علامات استغراب، وقال:

ـ أنا؟ ماذا أفعل أنا!

ـ نعم! أنت!

ـ وماذا أستطيع أن أفعل؟

ـ تحدث مع رئيس اتحاد القارة العذراء. قريبك. أنت متزوج من أخته ولولا هذه القرابة ما كنت هنا الآن تتقاضى راتباً ضخماً وتنعم بمزايا عديدة. لولا هذه القرابة لبقيت مندوباً مؤقتاً يحيا على ١٠٠٠ دولار في الشهر.

أطرق المستشار خجلاً ولم يجب. أدرك أن المدير التنفيذي نجح في حقن نفسه بشحنة من الغضب لا يمكن أن تنتهي إلا بنوبة من

النوبات المألوفة. ولم يخب ظنه.

وقف المدير التنفيذي وبدأ يصرخ:

- مستشارون! مستشارون! مستشارون! وماذا فعل لي المستشارون؟ لم يفعلوا شيئاً سوى تشويه سمعتي وسمعة الإدارة. هل تعرف ما يقوله الناس يا أمبوكو؟ يقول الناس يا أمبوكو إن هذه إدارة فاسدة ودليل فسادها كثرة المستشارين. هل أنت جزء من الفساد، يا أمبوكو؟ قل لي يا أمبوكو. هل أنت جزء من الفساد؟

بقي المستشار صامتاً، وأخذ المدير التنفيذي يتحرك وهو يصرخ:

- القارة العذراء! هل عمل أحد في التاريخ كله ما عملته أنا للقارة العذراء؟ من الذي كافح لإعطاء الأولوية المطلقة للقارة العذراء؟ أنا! من الذي زار كل دولة من دول القارة السّتين؟ أنا! من الذي نظّم عشرات المؤتمرات الوزارية لنشر المعرفة في القارة العذراء؟ أنا! من الذي فتح ١٥ فرعاً للإدارة في القارة العذراء؟ أنا! وكان فتح الفرع الواحد أصعب من قلع ضرس من أضراسي. مجلس الحكماء يعارض. والميزانية لا تسمح. ولكنني لم أستسلم. هل استسلمت يا أمبوكو؟ تجاهلت المجلس. وتجاهلت الميزانية. وفتحت الفروع. والآن تغدر بي القارة العذراء. تتآمر عليّ. كنت أفضل أن أموت قبل أن أرى هذا اليوم. هل سمعت يا أمبوكو؟ أفضّل أن أموت.

إنتهت النوبة نهاية هادئة تليق بالموت وجلاله، وعاد المدير التنفيذي إلى مقعده، وهمس:

- هل أستطيع الاعتماد عليك يا أمبوكو؟

ردّ المستشار على الفور:

ـ أنا مستعد لافتدائك...

ـ لا أريد من أحد افتدائي. ما الحكاية؟ هل تحوّلنا إلى منظمة فدائية؟ كل ما أريده منك هو أن تقنع صهرك بأن تقدم القارة العذراء مرشحاً. قل له أن يختار مرشحاً جيداً ويترك الباقي لي. أتعهد له بشرفي أن مرشحه سوف يكون المدير التنفيذي القادم. لا أريد أن تكون هذه الإدارة معروضة للبيع في مزاد. أريد أن يتولاها شخص مؤهل من قارة تحتاج إلى خدماتها.

ـ سوف أفعل المستحيل.

ـ يكفي أن تقنعه. قل له إني سوف أضطر إذا لم يستجب لرجائي أن أغلق كل فروع الإدارة في القارة. وهو يعرف كما أعرف كما تعرف أنت أن أي مدير تنفيذي قادم لن يستطيع أن يعيدها.

ـ سوف أبذل جهدي.

ـ سافر فوراً. سافر غداً.

ـ سيدي المدير التنفيذي! يقول مدير القسم المالي...

ـ الميزانية! الميزانية! حسناً! حسناً! هناك ندوة لرعاية التماسيح تعقد في الأسبوع القادم. إذهب إلى قسم أولوية القارة العذراء وخذ نفقات المهمة من هناك. سوف أرتّب الموضوع.

تأمّل المدير التنفيذي وجه مستشاره لشؤون القارة الجنوبية كارلوس سوفانا وشعر بشيء من القلق. يبدو أن الحياة العابثة التي يعيشها المستشار في هذه المدينة بدأت تؤثر على صحته. قال برقة غير معهودة:

ـ كارلوس! هل أنت بخير؟

قال كارلوس:

ـ أنا على خير حال. وأنت سيّدي المدير التنفيذي؟

ـ أنا بخير ما دامت هذه الإدارة بخير. وسوف أبذل كل جهدي حتى تبقى هذه الإدارة بخير. لا بدّ أنك سمعت الإشاعات.

ـ أرجو أن تكون كاذبة. أرجو أن تبقى في موقعك. القارة الجنوبية لا تستطيع الإستغناء عنك. القارة الجنوبية تعتبرك إبناً من أبنائها.

ـ ولها الحق! ولها الحق! لم يكن هناك فرع واحد للإدارة في القارة الجنوبية وفتحت أنا ٩ فروع. لم يكن هناك مساعد واحد للمدير التنفيذي وعينت أنا ٣ مساعدين. لم يكن هناك مستشار واحد، وأنت الآن أقرب المستشارين إلى نفسي. لا بُدّ أن تبقى للقارة الجنوبية نفس الأولويّة التي لها الآن. عندما أضمن ذلك أستطيع أن أغادر موقعي وأنا مرتاح الضمير.

ـ سيدي المدير التنفيذي! لا بُدّ أن تبقى حيث أنت. لن يرضى أحد بالتغيير.

ـ لم يتوقع المستشار أن تثير هذه الجملة الودّية نوبة من نوبات رئيسه المشهورة إلا أنها فعلت. بدأت الحركة، وبدأ الصراخ:

ـ أبقى في موقعي! أبقى في موقعي! كل الناس يصرّون على أن أبقى في موقعي. ماذا يظنّون؟ ماذا يتصوّرون؟ هل يعتقدون أني حجر؟ هل يحسبون أنني فولاذ؟ أنا إنسان، يا كارلوس، مثل بقيّة البشر. إنسان يتعب مثل بقية البشر. ويضجر مثل بقية البشر. ١٠ سنوات وأنا أعيش كالرقيق. أعمل ٢٠ ساعة في اليوم. ٢٠ ساعة!

كل يوم! كل يوم! وأسافر ٣٠٠ يوم في السنة. ماذا يظن الناس؟ هل يظن الناس أني سعيد بهذه الوظيفة! هل يظن الناس أني سعيد بالتعامل مع هؤلاء الأغبياء الحمقى الذين يسمّون أنفسهم مجلس الحكماء؟ هل يظنّ الناس أني سعيد بالأقاويل الدنيئة التي تُردّد عن هذه الإدارة، وعني. تعبت، يا كارلوس! تعبت من التضحية. هناك حدود للتضحية. لا أكاد أرى زوجتي. لا أكاد أرى إبني. لا أكاد أرى حفيدي. هذه ليست حياة. هذه أشغال شاقة. هناك قدرة محدودة لكل إنسان. أريد أن أستريح! أريد أن أستريح!

تبخّرتْ ثورة المدير التنفيذي، فجأة، مع الكلمات التي تتحدث عن الراحة، وجلس على مقعده مسترخياً وكأنه موشك على النوم. لا ينتهي إعجاب كارلوس بمواهب رئيسه المتعددة، الطاقة الجبارة، القدرة على تغيير مزاجه من لحظة إلى أخرى، موهبة التمثيل الرائع، موهبة تصديق نفسه وهو يردد أضخم الأكاذيب، وموهبة إقناع الآخرين بتصديق هذه الأكاذيب. لولا معرفته الوثيقة برئيسه لصدّق كل الهراء الذي قاله عن رغبته في الراحة. الحقيقة أن رئيسه سوف يفعل أي شيء، أي شيء على الإطلاق، ليبقى حيث هو. ساد الصمت برهة، وقطعه المستشار:

ـ سيدي المدير التنفيذي ! لديك مهمة إنسانية لم تنته. العناء قدرك والتضحية مصيرك. لا بدّ أن تكمل مهمتك.

زفر المدير التنفيذي، وقال:

ـ لولا بلايين البشر الجائعين الأميّين الفقراء لما بقيت هنا لحظة واحدة. على أية حال، لا أودّ أن أثقل عليك بهمومي. لنعد إلى موضوعنا. أنت تعرف رئيس اتحاد القارة الجنوبية، أليس كذلك؟

قرّر كارلوس أن يختصر الطريق:

ـ سيدي المدير التنفيذي! أنت تعرف أنه صديقي منذ أيام الدراسة الابتدائية. وأنا أعرف أنك تلطفت بتعييني في هذه الوظيفة بناء على توصية...

ـ كارلوس! دعنا من الماضي. فلنتحدث عن المستقبل. أودّ منك أن تسافر فوراً لمقابلة رئيس اتحاد القارة. بلّغه سلامي وبلّغه رجاءً خاصاً مني. قل له إني أريد أن تقدّم القارة الجنوبية مرشّحاً. قل له إنني أقسم بشرفي أن هذا المرشح سوف يكون المدير التنفيذي القادم. قل له إن ضميري سوف يعذّبني إذا ذهبت الإدارة إلى أغنى المزايدين. سافر فوراً. دعك من قسم الميزانية. إذهب إلى قسم أولوية القارة الجنوبية وقل لهم إن هناك ندوة تعقد الآن عن دور الڤودو في القضاء على الخرافات. قل لهم إني كلفتك بحضور الندوة. وخذ نفقات السفر منهم.

❀ ❀ ❀

نظر المدير التنفيذي إلى مستشارته لشؤون قارة الفرنجة، صوفيا بوردو، وتذكّر، كما كان يفعل كل مرة يراها فيها، صوفيا لورين. القوام الفارع المثير نفسه، والشفاه الغنية ذاتها، والنظرات الجائعة هي هي. مرّت بذهنه وهو يتأمل سونيا ذكرى الليالي الجميلة التي جمعت جسديهما قبل أن تبلغ غيرة سونيا مرتبة الجنون. جمح به الخيال فتصوّر نفسه في السرير بين صوفيا وسونيا العاريتين، وشعر بالرغبة تتسلّل إليه وتبدأ، كالعادة، في حلقه. ابتلع ريقه بصعوبة، وقال:

ـ صوفيا! صوفيا! ما أجملك اليوم! تذكرينني...

ضحكت صوفيا، وقالت:

ـ روبيرتو! لا تبدأ رجاء. تذكرينني بالنبيذ المعتق...

ضحك المدير التنفيذي، وقال:

ـ صوفيا! أقصد ما أقوله. أنت رائعة الجمال. أنت تزدادين جمالاً كل يوم وأنا...

ـ روبيرتو! أنت لم تطلب مني الحضور لتتغزّل فيّ. لا تظنني بلهاء. استحوذت تلك المخلوقة عليك ولم تبق مجالاً لامرأة أخرى. ويتحدثون عن الشركات الاحتكارية الكبرى!

لم يشأ المدير التنفيذي للحوار أن ينزلق في هذه المتاهات. قال جادّاً:

ـ صوفيا! أنا في حاجة إلى مساعدتك، في حاجة حقيقية.

نظرت إليه صوفيا بخبث، وقالت:

ـ تريد مني إقناع رئيس اتحاد قارة الفرنجة بتقديم مرشّح؟

إحمرّ وجه المدير التنفيذي، واستمرّت صوفيا:

ـ سوف أبذل جهدي. ولكنك تعرف، تماماً، أن قارة الفرنجة أخذت أكثر من نصيبها المشروع في هذه الإدارة وأن ٩ من...

قاطعها برقة:

ـ صوفيا! أعرف تاريخ هذه الإدارة، وأعرف عدد المدراء التنفيذيين الذين جاءوا من قارة الفرنجة. ولكن فكّري قليلاً، يا حبيبتي. هذه إدارة فرنجية، بمبادىء فرنجية، بميثاق فرنجي، بأجندة فرنجية، وليس من المنطق أن نتركها تحت رحمة الأميّين والجهلة والبدائيين...

ـ روبيرتو! روبيرتو! لا أكاد أصدّق أذنيّ. أنت؟! أنت تتحدث عن شعوب العالم النامي بهذه الطريقة؟! هذه إدارة دولية. تخدم العالم كلّه.

ـ برافو! برافو! صوفيا! لو بقيت في مكاني فترة إضافية لاستغنيت عن تلك المخلوقة وعيّنتك أنت كبيرة مستشارين. إلاّ أنني لا أنوي البقاء. كل ما أريده هو أن تبقى هذه الإدارة في يد الفرنجة.

قرّرت صوفيا استجابة لرغبة شريرة طارئة، أن تستمتع بمشاهدة نوبة تمثيلية من نوبات ممثلها المفضل، وضغطت على الزّر:

ـ روبيرتو! كانت الإدارة، ذات يوم، في يد غير فرنجية ولم يحدث شيء، وكان كل شيء يسير...

ما توقّعته صوفيا تحقّق على الفور. قام المدير التنفيذي من مقعده، وبدأت الجولة المصحوبة بالصراخ:

ـ لم يحدث شيء؟! لم يحدث شيء؟! هل نسي العالم ما كان يحدث هنا قبل مجيئي؟ كانت هذه الإدارة وكراً للتآمر مع الفرنجة. هل تسمعين؟ وكر! ماذا فعلت هذه الإدارة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان؟ تجاهلته، ووضعت بدلاً منه إعلاناً ماركسياً لحقوق المجتمعات. تصوّري! حقوق المجتمعات في القمع والإرهاب والسجن والقتل. وماذا فعلت هذه الإدارة بحرية التعبير؟ كانت تنوي أن تفرض نظاماً جديداً للإعلام يقوم على قمع حرية التعبير. هذه الإدارة! احتلّ الشيوعيون والبدائيون هذه الإدارة، وحوّلوها إلى معسكر مناوىء للديموقراطية. ومن الذي أعاد الأمور إلى نصابها؟ من الذي هزم المؤامرات؟ من الذي استنقذ الإدارة للفرنجة؟ من الذي اختطفها اختطافاً من القارات المتخلّفة. أنا، يا صوفيا، أنا! أنا الذي أعدت الأجندة الفرنجية. أنا الذي فرضت حقوق الإنسان فرضاً على العالم كلّه. سمّيتها معرفة السلام وأقنعت الجهلة بتدريسها في كل مدرسة. أنا! أنا! أنا! هل نسيت قارة الفرنجة دوري

التاريخي؟ هل تنوي التفريط، مرة أخرى، في الإدارة؟ هناك إشاعات الآن بأن قارة عربستان سوف تتقدم بمرشّح هاه! هاهِ! هاهِ! قارة عربستان! تصوّري! وماذا سيفعل المُلاّ القادم من عربستان، يا صوفيا؟ سوف يبدأ بفرض الحجاب على النساء. تصوّري نفسك محجّبة، يا صوفيا.

شردتْ صوفيا بذهنها. وتصوّرت نفسها محجبة في خيمة شيخ بدوي وسيم. وشرد خيالها فتصوّرت نفسها ترقص أمام شيخها الوسيم وترمي ثيابها، قطعة قطعة عليه، وعادت بها الذكرى إلى تلك الليلة المقمرة في المدينة الصحراوية...

ـ صوفيا! صوفيا! أين ذهبت؟

ضحكت صوفيا، وقالت:

ـ مدير تنفيذي يحجّبني! ويضعني في ركن مكتبه، في الخيمة مع بقية الحريم. يا للفكرة المثيرة! روبيرتو! أعتقد أن فكرة المرشح العربستاني تخيفك لأنك تخشى أن يتفوق عليك في عدد نسائه.

عاد المدير التنفيذي إلى مقعده، ونظر إلى صوفيا بمزيج من الشهوة والنفور، وقالت هي:

ـ لا تقلق يا روبيرتو، سوف يكون هناك مرشح من قارة الفرنجة. بوسعك الاعتماد عليّ.

ـ صوفيا! صوفيا! كيف أستطيع أن أشكرك؟

ـ سوف نبحث هذا الموضوع بعد إعادة انتخابك، ورحيل تلك المخلوقة.

قام المدير التنفيذي، واقترب منها محاولاً تقبيلها، إلا أنها أشاحت بوجهها، وقالت:

ـ ليس الآن! في المستقبل ربما!

❀ ❀ ❀

كما توقّع المدير التنفيذي، جاء مستشاره لشؤون قارة الروسلاند نيكيتو فودكايين بعد أن احتسى كمية من الشراب يصعب معها على محدّثه أن يعرف هل هو قادر على استيعاب كل شيء أم عاجز عن استيعاب أي شيء.

بدون أن يفكر، قال المدير التنفيذي:

ـ نيكيتو! هل تريد فنجان قهوة؟

نظر إليه نيكيتو بعينين محمرّتين، ولم يجب.

ـ أعني هل تود أن تشرب شيئاً؟

ـ هل لديك فودكا؟

ـ للأسف الشديد لا يوجد لديّ...

ـ إذن لا أريد شيئاً.

قرّر المدير التنفيذي أنه لا جدوى من اللف والدوران، وقال:

ـ نيكيتو! أنت تعرف رئيس اتحاد قارة الروسلاند جيّداً، أليس كذلك؟

ـ كيف لا أعرفه؟ هل نسيت أني كنت وكيل وزارة الثقافة عندما كان هو الوزير، وعملنا معاً فترة طويلة؟

لا يزال المستشار، لحسن الحظ، يحتفظ بقدر لا بأس به من صوابه. قال المدير التنفيذي:

ـ نيكيتو! أريد منك خدمة.

قال نيكيتو بلا حماسة:

ـ سوف أقوم بها إذا كانت تدخل ضمن مسؤولياتي.

طاف ببال المدير التنفيذي أن مسؤوليات مستشاره لا تتجاوز شرب كميات هائلة من الفودكا يومياً على نفقة الإدارة، إلا أنه طرد الفكرة من ذهنه، وقال:

ـ هي من صميم مسؤولياتك. أريد منك أن تسافر فوراً لمقابلة رئيس الاتحاد. على نفقة الإدارة طبعاً. أبلغه رجاءً خاصاً مني. قل له إنني أود أن تقدم قارة الروسلاند مرشّحاً. قل له إنني أتعهّد بأن يكون مرشّحه هو المدير التنفيذي القادم. قل له إننا لا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي ونحن نرى دولة القارة العظمى رقم ٤٠ تشتري هذه الإدارة...

بغتة، وبلا سابق إنذار، وقف المستشار وبدأ، بدوره، نوبة تمثيلية صاخبة:

ـ هذه الدولة! عدوتنا في القرن الماضي، وعدوّتنا في هذا القرن، وعدوّتنا في القرن القادم. دولة الأقزام! لا بدّ من تعليمها درساً قاسياً. لا بد من خوض معركة حتى الموت معها، لا بدّ...

قاطعه المدير التنفيذي:

ـ برافو! برافو! هذه هي الروح القتالية المطلوبة يا عزيزي نيكيتو. سافر فوراً! سافر غداً!

الفصل الرابع

الجهاز

فبراير ١٩٩٩

يضمّ الاجتماع الذي يعقده المدير التنفيذي كل شهر لمناقشة شؤون الإدارة عدداً من مساعديه وعدداً من مستشاريه. كان الحاضرون هذه المرة ٣٠ شخصاً بين مستشارين ومساعدين. بدأ الاجتماع بالمحاضرة المعتادة من المدير التنفيذي:

ـ السادة الزملاء! أنتم تعرفون الظروف الصعبة التي تمرّ بها الإدارة. يبخلون علينا بكل شيء، ويتوقعون منا كل شيء. طلبت ٧٠٠ مليون دولار لميزانية هذه السنة ووافق المجلس على نصف المبلغ. نصف المبلغ! يجب أن تبقى الميزانية كما هي سنة بعد سنة بعد سنة. النمو الصفري. وماذا يعني النموّ الصفري؟ يعني أن الميزانية تنخفض سنة بعد سنة بعد سنة نتيجة التضخم. من يصدّق أن ميزانية الإدارة اليوم، الميزانية الفعلية، أقل من ميزانيتها قبل ٢٠ سنة؟ من يصدّق؟ ومع ذلك يتوقّعون المستحيل. هل أنا ساحر؟ هل أنتم سحرة؟ لديّ في الدور الأسفل من هذا المبنى مطبعة ضخمة تطبع الكتب ولكنها لا تستطيع طبع الدولارات. لا القارات ترحم، ولا

الدول ترحم، ولا المندوبون المؤقّتون يرحمون. من أين آتي بالمال؟ هل أسرق؟ هل نذهب جميعاً للهجوم على البنوك؟ ويتحدثون عن انعدام الانضباط المالي. انعدام الشفافية. في الإدارة ٥ مراجعين داخليين وخارجيين ومع ذلك يتحدّثون عن انعدام الشفافية. قلت لمجلس البلهاء...

صدرت شهقات هنا وهناك. وبدتْ على كثير من الوجوه علامات استغراب. هذه هي المرة الأولى التي يهاجم فيها المدير التنفيذي مجلس الحكماء في اجتماع عام كهذا. إلاّ أن المدير التنفيذي لم يأبه بردود الفعل واستمر:

ـ قلت لمجلس البلهاء مراراً وتكراراً: «حدّدوا الميزانية ولكن دعوني أتصرف في طريقة الإنفاق. دعوني أحدد الأولويات. بدون ذلك يتعطل العمل نهائياً. تتوقف الإدارة عن العمل». إلاّ أن مجلس البلهاء يرفض أن يفهم. يريدون الاحتفاظ بالكعكة وأكلها. يريدون ميزانية تتناقص كل سنة، ونشاطاً يتضاعف كل سنة. هل أنا ساحر؟ هل هذه منظمة سحرة؟ هل أنتم سحرة؟ والتمويل الخارجي! كل يوم استجواب طويل حول التمويل الخارجي. قلت لهم إن التمويل الخارجي لا يعنيهم. التمويل الخارجي يأتيني أنا مباشرة من منظّمات تحترمني ومن أشخاص يقدرونني، وأنا المفوّض في التصرف فيه. أنا وحدي. هذا قدرنا أيها الزملاء. أن نحارب في سبيل الإنسانية وبدل الشكر والثناء نتلقى الشتائم واللعنات والطعنات من الخلف. والآن يتحدثون عن مرشحين جدد قادمين لإنقاذ الإدارة. إنقاذ الإدارة! أهلاً وسهلاً! فليتفضلوا! ينقذون الإدارة ممن؟ مني؟! منكم؟! هل عمل إنسان من أجل الإدارة كما عملت أنا؟ هل عمل فريق من البشر من أجل الإدارة كما عملتم أنتم؟ والآن يتحدثون...

رفعت سونيا يدها، وقبل أن يعطيها الكلمة قالت:

ـ السيّد المدير التنفيذي! أرجو أن تأذن لنا بالبدء في عرض المواضيع التي تحتاج إلى قرارات منك. الجدول مزدحم جداً.

نظر المدير التنفيذي إليها باستغراب شديد. ماذا حدث للدنيا؟ لم يكن أحد يقاطعه في الماضي. في الآونة الأخيرة بدأ الجميع يقاطعونه. حتى رئيس مجلس البلهاء الخَرِفَ. حتى سونيا! ماذا حدث للدنيا؟ ابتلع دهشته بصعوبة وقال:

ـ حسناً! نبدأ كالعادة بالشؤون المالية.

قال مساعد المدير التنفيذي لشؤون الميزانية:

ـ سيدي المدير التنفيذي! السنة لم تكد تبدأ وقد أنفقنا أكثر من ثلث الميزانية. وأمامي طلبات من كل دولة عضو تقريباً. ماذا سنفعل؟

ـ نفعل ما نفعله مع كل ميزانية. نحدد نحن، أنتم وأنا، الأولويات. أبدأ!

ـ هناك ٢٤ دولة عضو تطالب بفتح فروع للإدارة.

ـ عليها أن توجّه طلباتها، مباشرة، إلى رئيس مجلس البلهاء. قرر المجلس الذكي عدم فتح فروع جديدة. حقيقة الأمر أنه قرر إغلاق الفروع الحالية. قل للمندوبين المؤقتين إني أتعاطف معهم كل التعاطف وأرغب في فتح فروع جديدة ولكن مجلس البلهاء له رأي آخر.

ـ تقصد...

ـ أقصد أن تعيد كل طلب إلى المندوب المؤقت الذي قدّمه مع مذكرة تشرح فيها سبب الرفض وتقترح أن يبحث المندوب الأمر مباشرة مع رئيس المجلس. والبند التالي؟

ـ فروع الإدارة في ٢٧ دولة اتصلت تقول إنها لا تملك ما يكفي لدفع رواتب الموظفين هذا الشهر.

ـ ماذا تقترح؟

ـ هناك مشروع باسم «معسكرات الشباب» مموّل من خارج الميزانية، وقد صرف منه حتى الآن...

ـ حسناً! حسناً! نستطيع اعتبار فروع الإدارة من معسكرات الشباب. خذ من هذا المشروع ما يكفي لدفع رواتب هذا الشهر وأرسله للفروع.

ـ وهناك ٣ معاهد تنتظر التمويل لتستطيع تعيين الجهاز الأكاديمي والبدء في أنشطتها.

ـ ألا يوجد شيء في الميزانية؟

ـ لا.

ـ ألا يوجد بند آخر يمكن تحويله؟

ـ هناك بند في الميزانية مخصّص لمشروع «تقنيات الكومبيتر» وهو...

ـ حسناً اقتطع من هذا البند مبلغاً يكفي لبدء هذه المعاهد في عملها. وأخبر رؤساء المعاهد أن يضيفوا إلى البرامج الدراسية مادة بإسم «تقنيات الكومبيتر». والبند التالي؟

ـ تقدمت ١١ دولة بمشاريع ذكرت أنها مستعدة لتقديم نصف التمويل المطلوب لها، وترجو أن تقدم دنسكو النصف الباقي من برنامج المساهمة.

ـ برنامج المساهمة! برنامج المساهمة! هل يعتقد الناس أنه مغارة علي بابا يعطوننا دولارات معدودة ويتوقعون منا أن نساهم في تمويل

كل مشروع يخطر ببال كل وزير ثقافة في هذا الكوكب. هل بقي شيء في الاعتماد؟

ـ بقي حوالى ٤ مليون دولار.

ـ حسناً! أعط كل دولة ٥٠,٠٠٠ دولار.

ـ ولكن سيدي المدير التنفيذي. . .

ـ أعرف أن الدول تتوقّع أكثر من هذا بكثير. إلا أن السنة في بدايتها، وأمامي المزيد من الطلبات. قل للمندوبين المؤقتين إن هذا كل ما نستطيع تقديمه. هل هناك المزيد من الأخبار السيئة؟

ـ هناك المشكله الأزلية. نصف الدول الأعضاء لم تدفع أنصبتها في الميزانية حتى الآن. وهناك عجز يتجاوز. . .

ـ إقترض! إقترض كالعادة! وسوف نتدبّر موضوع الفوائد فيما بعد. أعتقد أني اتخذت من القرارات المالية ما يكفي لتسيير الإدارة حتى الشهر القادم. فلننتقل إلى البنود الإدارية.

قال مساعد المدير التنفيذي لشؤون الجهاز:

ـ سيّدي المدير التنفيذي! الموظفون يهددون بإضراب جديد.

ـ إضراب! إضراب! إضراب! هل هذه إدارة إضرابات؟ ليضربوا، وليذهبوا إلى الجحيم.

ـ ولكن سيدي المدير. . .

ـ ماذا يريدون هذه المرّة؟

ـ يحتجّون على كثرة التعيينات السياسية.

ـ التعيينات السياسية؟ أي تعيينات سياسية؟ كما تعلمون جميعاً

لم يكن هناك تعيين سياسي واحد منذ جئت إلى هذا الموقع. هل أنتم تعيينات سياسية؟! كل شخص عيّنته في وظيفة عيّنته لكفاءته، ولكفاءته وحدها.

ـ يتحدث الموظفون عن ضرورة التشاور قبل...

ـ التشاور؟ يريدون مني أن أجتمع مع كل واحد منهم قبل أي تعيين؟ ألم يقرأوا الميثاق؟ الميثاق ينص على أن المدير التنفيذي، المدير التنفيذي وحده، هو الذي يعينّ أعضاء الجهاز. كل أعضاء الجهاز. لم يقل الميثاق إن الموظفين يعيّنون بعضهم بعضاً.

ـ قد يكون من المناسب سيدي المدير التنفيذي أن تجتمع بهم و...

ـ أجتمع بهم؟ أنا؟ هذه ليس مسؤوليتي. اجتمع بهم أنت. هذه مسؤوليتك أنت. إذا استطعت أن تقنعهم بصرف النظر عن الإضراب فهذا شيء طيب. وإذا لم تستطع فاطلب منهم أن يتظاهروا أمام بابك.

إبتلع المساعد ريقه بصعوبة، وقال:

ـ وهناك ٣٩ دولة تقدّمت باحتجاجات رسمية لأنها لم تحصل على نسبتها المفترضة من الموظفين.

ـ ٣٩ دولة؟ هل هذا صحيح؟

ـ هذا صحيح، سيدي المدير التنفيذي.

ـ وماذا تقترح؟

ـ ليس بوسعنا عمل شيء. منذ أن ثبتتْ الميزانية لم يعد بإمكاننا تعيين موظفين جدد، إلا في أضيق الحدود وبقرارات شخصية منك.

لا بدّ أن ننتظر حتى يتقاعد موظف لنتمكن من أن نحل موظفاً جديداً محله. لا نستطيع فصل...

قاطعه المدير التنفيذي:

ـ تذكّر ما حصل عندما فصلنا ذلك الموظف الفاسد. حصل على تعويض بمليون دولار. مليون دولار! لا أستطيع أن أعيّن، ولا أستطيع أن أفصل. ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

ـ سيدي المدير التنفيذي! هناك ١٧ موظفاً سوف يحالون على التقاعد خلال الأسابيع...

ـ لديك ٣٩ دولة و١٧ وظيفة. كيف يمكن أن نُرضي البعض، ونُغضب البعض. إعتذر للجميع.

ـ وماذا عن الوظائف التي ستشغر؟

ـ عندما تشغر، وليس قبل ذلك، إبحث الأمر معي. هل لديك المزيد؟

ـ هناك ٣٥٧ موظفاً حان أوان ترقيتهم ولم يُرقّوا حتى الآن.

ـ آه، آه! كم أتمنى لو كانت لديّ الاعتمادات الكافية لترقية كل موظف يستحق الترقية. ولكن من أين آتي بالمال؟ من أين آتي بالمال؟ هل لدينا اعتمادات تسمح بالترقية؟

ـ هناك ما يكفي لترقية ٣٣ موظفاً من مرتبة...

ـ حسناً! أبلى العاملون في قسم معرفة السلام بلاء حسناً ويستحقون الترقية. العاملون في قسم أولوية القارة العذراء بدورهم بذلوا جهوداً مشكورة، والجنود المنسيون في مكتبي. الجنود الذين يعملون ليل نهار، بدون إجازات أو راحة. قسّمْ الترقيات بالتساوي

بين هذه الأقسام الثلاثة. هل لديك المزيد؟

قال المساعد:

- من المفروض أن نقدم تقريراً كاملاً لمجلس الحكماء في دورته المقبلة عن الجهاز يشتمل على عدد العاملين كما يشتمل على مدى تقدمنا في تنفيذ القرارات التي سبق للمجلس...

قاطعه المدير التنفيذي:

- الدورة القادمة؟ لا يوجد متسع من الوقت لإعداد تقرير شامل كهذا. أجّله إلى دورة أخرى. سئمت من الصداع المالي والإداري. لننتقل، الآن، إلى المواضيع الفكرية التي ما أنشئت هذه الإدارة، أساساً، إلاّ من أجلها. ماذا حدث لبرنامج معرفة السلام؟

يعرف جميع المحاضرين أن برنامج معرفة السلام هو الوليد الفكري للمدير التنفيذي. جاءت الفكرة منه، أو تبنّاها من مصدر مجهول، وكافح في سبيل إقرارها. متجاوزاً مجلس الحكماء إلى رؤساء الاتحادات في القارات. ثم أنشأ أضخم قسم في الإدارة لمتابعة تنفيذها. يعرف جميع الحاضرين أن المدير التنفيذي يطمع في دخول التاريخ بسبب هذه الفكرة، كما يطمح، في المدى القصير، في الحصول على جائزة نوبل بسببها. ويعرف جميع الحاضرين أن أسرع الطرق إلى عقل المدير التنفيذي وقلبه هو امتداح معرفة السلام.

تنحنح مساعد المدير التنفيذي لشؤون معرفة السلام، وقال بصوت جهوري:

- سيدي المدير التنفيذي! لك البشرى! لك البشرى! معرفة السلام تسري في كل مكان سريان النار في الهشيم. الأمم المتحدة كما تعرف أعلنت السنة القادمة سنة معرفة السلام، وهناك

استعدادات ضخمة في كل دولة للاحتفال بهذه المناسبة. كل دولة في العالم أرسلت دعوة لك...

قاطعه المدير التنفيذي:

ـ لن أكون هنا السنة القادمة.

واصل المساعد حديثه دون أن يفقد شيئاً من حماسته:

ـ ومدارس دنسكو في كل دولة تبنّت برنامج معرفة السلام. والجامعات في كل عاصمة قررت إدخال معرفة السلام في مناهجها. لا أعتقد أن أي فكرة في تاريخ دنسكو لقيت من النجاح ما لقيته فكرة معرفة السلام.

إنشرحت أسارير المدير التنفيذي لأول مرة منذ الصباح، وقال:

ـ هذا ما أريد أن أتركه بعدي. هذا هو ميراثي الحقيقي. استطعت أن أبذر بذرة السلام وأستطيع أن أمشي من هنا وأنا مرتاح الضمير. كل ما أرجوه هو ألاّ يأتي بعدي من...

توقف المدير التنفيذي فجأة، وقال:

ـ هل هناك موضوعات أخرى؟

قال مساعد المدير التنفيذي لشؤون المؤتمرات:

ـ سبق أن قرّرت سيدي المدير التنفيذي عقد مؤتمر عالمي لحماية الحشرات المنقرضة. هل نمضي قدماً ونرسل الدعوات؟

ـ بالتأكيد. لا يمكن أن نقف متفرّجين ونحن نرى حشرة بعد حشرة تنقرض. دور الحشرة الضئيلة في قانون الطبيعة لا يقل عن دور الفيل.

قال المساعد بتردد:

ـ وماذا عن التمويل؟ لا يوجد اعتماد في الميزانية.

نظر المدير التنفيذي إلى مساعده لشؤون التمويل الخارجي وقال:

ـ ماذا تقترح؟

ردّ المساعد:

ـ هناك تبرع من دولة فرنجية لتمويل مركز للتعليم المهني...

قال المدير التنفيذي على الفور:

ـ حسناً! اقتطع منه ما يكفي لتمويل المؤتمر. إذا انقرضت الحشرات انتهى لقاح النبات ومات الناس جوعاً ولم تعد هناك حاجة إلى تعليم مهني. هل هناك...

قاطعته سونيا بأدب:

ـ السيد المدير التنفيذي! اتخذت خلال الاجتماع كل القرارات الضرورية لعمل الإدارة حتى اجتماعنا المقبل، وأعتقد أن الوقت قد حان لرفع الجلسة. أنت مشغول جداً. والزملاء مشغولون جداً.

نظر إليها المدير التنفيذي باستغراب لم يحاول ستره. ماذا حدث لهذه المرأة؟ منذ متى كان أحد غيره يقرّر رفع الجلسة؟ أو يقترح رفع الجلسة؟ بدأ يشعر بالغضب، وأوشك على القيام من مقعده لولا أن سونيا التي كانت تجلس على يمينه، دفعت إليه بورقة صغيرة كتبت عليها: «روبيرتو! هناك أشياء هامة يجب أن تناقشها مع مستشاريك فقط. أشياء عاجلة». استرخت ملامح المدير التنفيذي وابتسم، وقال:

ـ كبيرة المستشارين محقّة. لا بد أن تعودوا إلى مكاتبكم. شكراً جزيلاً.

ذهب الجميع، وبقي المدير التنفيذي في مكانه على رأس الطاولة، وبعد دقائق عادت سونيا ومعها مستشاروه لشؤون القارات الست.

بدأت سونيا الحديث:

- الأمور مشجّعة جداً، والأخبار سارّة.

إبتسم المدير التنفيذي، وقال:

- يعلم الله مدى حاجتي إلى سماع أخبار سارّة.

قالت سونيا:

- فليتفضّل كل مستشار بعرض ما لديه.

بدأ المستشار لشؤون القارة العظمى:

- سيّدي المدير التنفيذي! رئيس اتحاد القارة العظمى يبلغك تحياته وتقديره، وكان يودّ تحقيق رغبتك في تقديم مرشح آخر إلا أنه واقع تحت تأثير ضغط هائل من دولة القارة العظمى رقم ٤٠ التي تصرّ على أن يكون مرشّحها هو مرشّح القارة الوحيد.

- ألم تحاول إقناعه؟

- سيّدي المدير التنفيذي! أبلغته الدولة رقم ٤٠ أنها ستوقف فوراً كل دعم تقدمه لكل دولة في القارة العظمى إذا تقدم مرشح آخر من القارة.

قال المدير التنفيذي:

- ٤ بليون دولار؟

- تماماً.

إلتفت المدير التنفيذي، بغضب، إلى سونيا، وقال:

ـ هل هذه هي أخبارك الطيّبة؟

ضحكت سونيا وهي تقول:

ـ أنت تعرف النكتة التي تبدأ: «لدي أخبار سيئة. ولديّ أخبار سارّة» بدأنا بالأخبار السيئة.

ـ حسناً! حسناً! أنا في الإنتظار.

تكلمت مستشارة المدير التنفيذي لشؤون عربستان:

ـ سيدي المدير التنفيذي! رئيس اتحاد عربستان يبلّغك مودّته واحترامه ويودّ إبلاغك أن قارة عربستان قرّرت التقدم بمرشح استجابة لرغبتك.

تهللت أسارير المدير التنفيذي وسأل:

ـ هل نعرف شيئاً عن المرشّح؟

قال سونيا:

ـ سوف نبحث موضوع المرشّحين بالتفصيل، فيما بعد.

قال المدير التنفيذي:

ـ وماذا عن القارة العذراء؟

قال أمبوكو بيتيكي:

ـ سيدي المدير التنفيذي! رئيس اتحاد القارة العذراء يهديك أشواقه وتحيّاته ويسرّه أن يبلغك أن القارة العذراء قررت تلبية طلبك وتقديم مرشّح.

إتّسعتْ ابتسامة المدير التنفيذي، واتجه ببصره إلى كارلوس

سوفانا الذي ابتسم بدوره، وقال:

- وأخبار القارة الجنوبية سارّة. قرّر رئيس الاتحاد أن يحقق رغبتك وستقدّم القارة مرشّحاً عنها.

إلتفت المدير التنفيذي إلى صوفيا بوردو التي ابتسمت بدورها، وقالت:

- السيّد المدير التنفيذي! أبلغني رئيس اتحاد الفرنجة أنه يسرّ القارة أن تتقدم بمرشّح عنها، وقال إنه اتخذ هذا القرار رغم الضغوط الشديدة التي تعرض لها.

نظر المدير التنفيذي إلى مستشاره لشؤون قارة الروسلاند الذي نظر إليه بعينين محمرّتين، وقال:

- سوف تتقدّم قارة الروسلاند بمرشّح. ونرجو أن ينتصر مرشّحنا على الحقير التافه...

قاطعه المدير التنفيذي:

- نيكيتو! شكراً! شكراً جزيلاً!

إلتفتتْ سونيا إلى المستشارين وقالت:

- شكراً. بوسعكم، الآن، العودة إلى مكاتبكم.

خرج المستشارون، وقبل أن يبدأ المدير التنفيذي في لوم سونيا على تصرّفاتها خلال الاجتماعين، قامت هي من مقعدها وقبلته بعنف، وهمستْ:

- روبيرتو! روبيرتو! نجحتْ الخطة. أعتقد أنك سوف تبقى في موقعك. لا! أجزم أنك سوف تبقى.

- مهلاً! مهلاً! من يقول إن الخطة نجحت؟

ـ ألا ترى؟ هناك ٦ مرشحين. سوف يصوّت كل حكيم لمرشّح قارّته وتتبعثر الأصوات، ويستحيل على أحد الحصول على أغلبية.

ـ ولكن الحكماء أقسموا...

ـ الحكماء بشر، يا روبيرتو، حتى ولو أقسموا. كل حكيم، في قرارة نفسه، يودّ أن يرى قارته، وربما دولته، مسيطرة على الإدارة. لن يستطيع أي حكيم التجرد من ولائه القارّي.

ـ والضغوط الهائلة التي تبذلها دولة القارة العظمى رقم ٤٠؟

ـ لنفترض أنها نجحت في جعل مرشّح القارة العظمى يحصل على صوتين أو ثلاثة. لن يكفي هذا لنجاحه.

ـ أنا أعرف هذه الدولة كما لا تعرفينها. سوف تستخدم كل وسيلة تخطر على البال، ووسائل لا يمكن أن تخطر لإنجاح مرشّحها.

ـ وسوف نستخدم نحن كل وسيلة لإفشال مرشّحها.

ـ هل لدينا معلومات عن المرشّحين؟

ـ لدينا معلومات استخبارية.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ أقصد أن الدول لن تتقدّم رسمياً بالترشيح حتى نهاية هذا الشهر، ولكنني استطعت، بمصادري الخاصة، الحصول على معلومات أعتقد أنها دقيقة جداً.

ـ مصادرك الخاصة؟! سونيا! لم أكن أعرف أن لديك مصادر خاصة.

ـ روبيرتو! هل نسيت المعلومات التي كنت أوافيك بها خلال السنوات الماضية والتي مكّنتك من إحباط كل المؤامرات ضدّك؟

- جميعها من مصادرك الخاصة؟

- هل تعتقد أني قرأتها في «الفيجارو»؟! على أية حال، مصادري الخاصة وأنا تحت تصرّفك. أنا وأنت شيء واحد.

- لا! هناك فرق كبير. أنت أجمل مني بكثير.

- روبيرتو! هذه الإدارة تؤمن بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة.

- ما لم يأت مدير تنفيذي عربستاني!

- قلت لك لن يأتي أحد. سوف تظلّ هنا.

- فلنعد إلى المرشّحين.

- مرشّح قارة عربستان شاعر.

- شاعر؟! شاعر؟! شاعر يدير دنسكو؟!

- إسمع! ليس من صالحك أن يكون هناك مُرشّح قويّ. من سينتخب شاعراً؟

- ولماذا قررت عربستان ترشيح شاعر؟

- روبيرتو! روبيرتو! العربستانيون رومانسيون، كالإيطاليين. العربستانيون يحبّون الشعر والنجوم والليل والغزل والواحات والخيام. يتصورن أنه لا يصلح لهذه الإدارة إلا شاعر. وأنا، شخصياً، أعتقد أنه اختيار موفّق.

- هل هو شاعر مشهور؟

- هذا ما يعتقده هو.

- هل أشعاره جيدة؟

- هذا ما يعتقده هو.

- وماذا يفعل غير كتابة الشعر؟

- لا يفعل شيئاً غير كتابة الشعر.

- لا توجد لديه خبرة في أي شيء ويرشحونه لدنسكو!

- روبيرتو! قلت لك إن هذا في صالحك.

- وماذا عن مرشح القارة العذراء؟

- قررت القارة العذراء ترشيح وزير مالية سابق.

- وزير مالية؟! وزير مالية؟! هل يعتقدون أنهم يرشّحون مديراً للبنك الدولي أو لصندوق النقد الدولي؟ وزير مالية في دنسكو؟!

- روبيرتو! البنك الدولي والصندوق منطقة محظورة على غير الفرنجة كما تعرف جيداً. إتحاد القارة العذراء يعتقد أن مرشح القارة لديه من المؤهلات والخبرة ما يجعله صالحاً لقيادة دنسكو.

- وزير مالية؟! وماذا عن بقيّة العجائب؟

- قرّرت قارة الفرنجة ترشيح ممثل شهير متخصص في تمثيل مسرحيات شكسبير.

خرج المدير التنفيذي عن طوره، ووقف وبدأت النوبة المعتادة من الدوران والصياح:

- سونيا! سونيا! ماذا حدث للعالم؟ هل جن الجميع؟ شاعر ووزير مالية وممثل؟! هل يستخفّون بي أو بهذه الإدارة؟ ممثل؟! ألم تجد قارة الفرنجة غير ممثل؟ أين العلماء؟ أين الفلاسفة؟ أين الحائزون على جائزة نوبل؟ أين الشخصيات البارزة؟ يرشّحون ممثلاً؟ ومتخصصاً في مسرحيات شكسبير؟ هل نحن في القرن السادس عشر؟! العالم بأسره الآن يدخل الفضاء السيبيرنيكي، ومرشّح الفرنجة ممثل شكسبيري. ما الحكاية؟ هل جننت أنا؟ أم جُنَّ الجميع؟

قالت سونيا بحزم:

- روبيرتو! إجلس! لم يُجنّ أحد. ولكني أعتقد أن ذاكرتك بدأت تضعف. الشيخوخة المبكرة، هاه! هاه! هاه. هل نسيت الهدف من الترشيح؟ نحن لا نريد مرشحين أقوياء. نريد مرشحين يشتّتون الأصوات حتى نضمن نجاحك.

- ولكن هنا دنسكو ولا بد من حد أدنى من المؤهلات...

- دع مجلس الحكماء ينشغل بالمؤهلات. ما يهمك أنت أن مرشح القارة العظمى لن يتمكن من الحصول على الأغلبية. أي شيء غير هذا لا يهم.

- ولكن كيف يفشل! إذا كان منافسوه...

- صبراً! صبراً! القائمة لم تنته بعد. قرّرت القارة الجنوبية ترشيح رئيس جمهورية سابق.

- آه! هذه أفضل. هذا أفضل بكثير.

- وقرّرت الروسلاند ترشيح بروفسور متخصّص في علم النفس.

- ممتاز! ممتاز! سونيا! ماذا عن مرشّح القارة العظمى؟

- هنا عجزت حتى مصادري الخاصة من الحصول على معلومات. كل ما نعرفه أن القارة العظمى سوف تتقدم بمسؤول حكومي كبير. لا نكاد نعرف شيئاً غير هذا.

- من طبيعة هؤلاء القوم التكتم والغدر والتآمر...

- روبيرتو! حذار من التعليقات العنصرية. هذه دنسكو. تذكّر!

- عفواً، عفواً، الكتمان ليس عيباً، من طبيعة هؤلاء القوم

الكتمان. هل نعرف أشياء عن المرشحين غير ما ذكرته الآن؟

ـ الشاعر لا يتحدّث إلاّ شعراً!

ـ عفواً؟

ـ لا يتحدّث نثراً على الإطلاق.

ـ سونيا! هل أنت جادّة؟ هل هناك إنسان لا يتحدث إلا شعراً؟

ـ أنا جادة. ومرشح عربستان لا ينطق إلا شعراً.

ـ وهل يردد شعره هو أم شعر الآخرين؟

ـ لا يردد إلا شعر المتنبّي.

ـ المتنبي؟ الإسم ليس غريباً عليّ.

ـ بطبيعة الحال! هل نسيت برنامج آرابيا؟ كان المفروض أن نترجم ديوان المتنبي، إلا أننا ترجمنا ونشرنا جزءاً صغيراً منه، ثم توقفنا لأننا اضطررنا إلى استخدام المبلغ في تمويل...

ـ فعلاً! فعلاً! وماذا عن وزير المالية؟

ـ هذا أغرب من الشاعر. هذا لا يتحدث إلا بالإحصائيات. كان رئيس مصلحة الإحصائيات في دولته قبل أن يُعيّن وزيراً.

ـ يتحدّث بالإحصائيات؟! كيف؟!

ـ لا يقول جملة واحدة لا تدخل فيها إحصائيات من نوع أو آخر.

ـ عجيب!

ـ هل تريد مثالاً؟ لو دخل عليك في المكتب لجلس وقال على

الفور: «في الدقيقة التي انقضت منذ دخولي اغتصبت امرأتان في جنوب أفريقيا، بمعدّل امرأة كل ٢٨ ثانية».

نظر إليها المدير التنفيذي، بذهول:

- سونيا! هل هذا صحيح؟

- يبدو، بالفعل، أن الاغتصاب في جنوب أفريقيا...

- سونيا! هل صحيح أنه لا يتحدث إلا بالإحصائيات؟

- صدّقني.

- والآن قولي لي إن المُمثّل لا يتحدّث إلا بلسان شكسبير.

- برافو! برافو! روبيرتو! كيف عرفت؟

- من مصادري الخاصة.

- مصادر مطّلعة. هو، فعلاً، لا يتحدّث إلا بفقرات مأخوذة من مسرحيات شكسبير.

- ستتحول دنسكو إلى سيرك! ماذا عن رئيس الجمهورية؟

- رئيس الجمهورية يتحدّث بطريقة طبيعية، إلا أنه غير طبيعي.

- غير طبيعي؟! مجنون؟!

- جنون العظمة. يعتقد أنه أعظم إنسان في هذا القرن.

- قد يكون، قد يكون، ماذا عن البروفسور؟

- البروفسور، يا عزيزي البروفسور، مصاب بالمرض التقليدي الذي يصيب كل بروفسور، باستثنائك أنت.

- الفقر؟!

ـ لا. شرود الذهن، ألم تسمع بالبروفسور شارد الذهن؟!

ـ سونيا! ماذا تقصدين؟

ـ أقصد أن كثيراً ما ينسى هل هو مرشح لدنسكو أو للأمم المتحدة. وأقصد أنه يبدأ الجملة وينسى البداية في منتصفها. وأقصد...

قاطعها المدير التنفيذي:

ـ فهمت! وماذا عن صاحبنا القادم من القارة العظمى؟ ألا توجد لديه مشاكل من هذا النوع؟

ـ قلت لك إنه لا تكاد توجد أي معلومات عنه.

ـ ومتى تبدأ الحملة؟

ـ بدأت، يا عزيزي، بدأت.

خرجت سونيا، وانطلق المدير التنفيذي إلى موعد غداء مع ٤ وزراء خارجية.

الفصل الخامس
الحملة الانتخابية

فبراير ـ أغسطس ١٩٩٩

نظر رئيس اتحاد القارة العظمى إلى مُرشّح القارة، وقال:

ـ الدول! ومجلس الحكماء! هذه هي استراتيجيتنا. نقنع الدول فتقنع مجلس الحكماء. وتفوز. أو نضغط على الدول فتضغط على مجلس الحكماء. وتفوز.

هزّ المرشح رأسه، وقال:

ـ الدول! ومجلس الحكماء!

إستطرد رئيس الاتحاد:

ـ ولا ينبغي أن نضيع لحظة واحدة من وقتنا في السخافات والتفاهات. لا نريد تزكيات من الحائزين على جائزة نوبل. ولا نريد موقعاً في الأنترنت. ولا نريد كتيبات. ولا نريد برنامجاً رائعاً لتطوير دنسكو. ولا نريد مؤتمرات صحفية. ولا نريد تصريحات. هل فهمت؟

هزّ المرشح رأسه، وقال:

ـ لا مؤتمرات صحفية، ولا تصريحات.

ـ سيقولون عنك الكثير. سيقولون إنك غير مؤهّل لقيادة دنسكو. سيقولون إنك لا تعرف فنّ التواصل. سيقولون إن الإدارة سوف تموت في عهدك. سيقولون إن المرشّحين الآخرين أكثر كفاءة وأكثر جاذبية. إسمع واصمت!

ـ سوف أسمع وأصمت.

ـ وسوف يقولون عن دولتك ما هو أسوأ بكثير. سوف يقولون إنها اشترت المنصب. واستخدمت دبلوماسية الشيكات. ولجأت إلى الرشوة. ومارست ضغوطاً غير مشروعة. سوف تسمع أشياء عنصرية غريبة. إسمع، ولا تنزعج.

ـ سوف أسمع ولا أنزعج.

ـ لا تقل شيئاً، أي شيء، ولا تفعل شيئاً، أي شيء، إلا بتعليمات.

ـ لن أفعل شيئاً ولن أقول شيئاً إلاّ بتعليمات.

ـ والآن إستمع إلى التعليمات المتعلّقة بمهمتك الأولى. قرّرت دولتك تقديم ٣٠٠ مليون دولار لدول القارة الجنوبية المتضرّرة من الأعاصير. فعلت دولتك هذا لأسباب إنسانية محض لا علاقة لها بالسياسة. سوف تقوم بجولة في القارة الجنوبية وتسلّم المبلغ بنفسك للدول المتضرّرة.

ـ سوف أسلّم المبلغ بنفسي للدول المتضرّرة.

ـ وتذكر! لا مؤتمرات صحفية، ولا تصريحات.

ـ لا مؤتمرات صحفية، ولا تصريحات.

❀ ❀ ❀

نظر مرشّح القارة العذراء إلى أعضاء حملته الانتخابية، وجميعهم من المتطوّعين الذين يعملون بدون مقابل، وطلب من مدير الحملة أن يوافيه بآخر التطوّرات.

إبتسم المدير، وقال:

- خبر سار جداً، وصلنا تبرع بنصف مليون دولار من معجب يرفض الإفصاح عن إسمه وقد حاولنا...

قاطعه المُرشّح:

- ثبت، إحصائياً، أن ١٢٪ من المتبرعين يرفضون الكشف عن هوياتهم، وثبت، إحصائياً، أن ٨٣٪ من هؤلاء ينتمون إلى العالم الإسلامي، أما في الغرب حيث يرتبط التبرع بالإعفاء الضريبي فلا تتجاوز النسبة...

قال مدير الحملة بأدب:

- عزيزي المرشح، نود البدء في بحث الاستراتيجية.

- ٣ ركائز. هذه هي استراتيجيتنا، ٣ ركائز. أولاً، الأنترنت. ثانياً، الجميعات غير الحكومية، ثالثاً، المثقفون. فلنأخذ الأنترنت، ثبت، إحصائياً، أن سرعة انتشار الأنترنت تعادل ٧ أضعاف سرعة انتشار الراديو و ١٠ أضعاف سرعة انتشار التلفزيون. وسوف يصل عدد المشتركين في الأنترنت إلى ٧٠٠ مليون في سنة...

قال المدير:

- حسناً! سوف يكون هناك موقع في الأنترنت.

- والجماعات غير الحكومية. يبلغ عدد العاملين في هذه الجمعيات ٧ ملايين شخص، وتبلغ ميزانياتها الإجمالية ١٣ بليون

دولار، وقد نجحت هذه الجماعات في ٦١٪ من حملاتها لوقف...

- حسناً! علاقاتنا قوية مع جمعيات غير حكومية عديدة، وسوف نواصل العمل لتطوير العلاقات مع الجمعيات الباقية.

- والمثقّفون. ثبت، تاريخياً وإحصائياً، أن المدير التنفيذي الحالي لم يفز بموقعه إلا بعد أن أيدته ٢٧٧ شخصية عالمية، ١٠٪ منهم حاصلون على جائزة نوبل، و١٥٪ من رؤساء الجامعات، و١٧٪ من الفلاسفة، و٩٪ من...

- حسناً، سوف نجمع أكبر عدد ممكن من توصيات المثقفين.

- ماذا عن الدول؟

ضحك المرشح، وقال:

- هذا ليس القرن التاسع عشر. ذهب زمان الدول.

نظر إليه المدير باستغراب، وقال:

- كما ترى. هل هناك أشياء أخرى تقترح عملها؟

- المعلومة! المعلومة هي القوّة. لا بدّ من التركيز على المعلومة طيلة الوقت. يجب أن أكون أقوى المرشحين، أي أكثرهم معلومات. نحن في عصر المعلومة. واقتصاد العالم تحركه المعلومة. تصوروا، يا إخوان، أنه منذ بدأنا اجتماعنا هذا ولد ١٣٩٢ طفلاً في مختلف أنحاء العالم، واغتصبت ١٢٣٤ امرأة، وذبحت ٣٤٢٠ بقرة، وطُلّق ٤١٤٢ رجلاً وامرأة. والتهمت ٩٢,٠٠٠ دجاجة مشوية وقُتل...

توقف المرشح يستجمع أنفاسه والتفت فإذا بأعضاء اللجنة يغطّون في نوم عميق، فأكمل بغيظ:

- ونام ١٠ حمير!



نظر مرشح قارة الروسلاند إلى رئيس اتحاد القارة وقال بحرارة:

ـ السيد الرئيس. أشكرك من الأعماق على ترشيحي لليونيسيف.

تنهد رئيس الاتحاد، وقال:

ـ عزيزي البروفسور! رشحناك لدنسكو لا لليونيسيف.

نفث البروفسور غمامة من دخان غليونه دخلت عيني رئيس الاتحاد ولم تساعد على تحسين مزاجه، وقال:

ـ دنسكو! بطبيعة الحال! بطبيعة الحال! قامت بجهود مشكورة في استئصال الملاريا والحُمّى الصفراء و...

قاطعه الرئيس:

ـ عزيزي البروفسور! أنت تتحدث عن منظمة الصحة العالمية وأنا أتحدّث عن دنسكو.

ـ بطبيعة الحال! بطبيعة الحال! منظمات كثيرة ومتشابهة. ماذا تفعل دنسكو يا ترى؟

تنهد رئيس الاتحاد مرة أخرى، وقال:

ـ عزيزي البروفسور! شاركت بشحمك ولحمك في قرابة ١٠٠ مؤتمر من مؤتمرات دنسكو وتسألني عن عملها؟! تسألني وأنت الخبير، أنت المرشح؟!

ـ آه! آه! تلك البناية اللطيفة بقرب برج إيفل. بطبيعة الحال! بطبيعة الحال! كنت هناك مرات كثيرة. مرات كثيرة. ويسعدني أن أقيم هناك بصفة دائمة بعد أن يتم انتخابي، سيتم انتخابي. أليس كذلك؟

ـ بطبيعة الحال! بطبيعة الحال!

ـ لي ذكريات ممتعة في تلك المدينة. كنت أعدّ كتاباً عنوانه «جولة في أفكار جويس» وزرت جميع المقاهي التي كان يرتادها، وخاصة مقهى «فوكيت» الذي أحببته كثيراً. كان جويس يعاني من مشاكل نفسية خطيرة بالإضافة إلى ضعف بصره وإدمانه الخمر. وكانت تساعدني أثناء البحث عالمة نفسية شابة كانت تحضّر للدكتوراه أيامها، كنت أنا شاباً في مطلع حياتي الأكاديمية وكانت هي فتاة حسناء. شيئاً فشيئاً تطورت العلاقة بيننا إلى أن اكتشفت أنني أعاني من مشاكل نفسية خطيرة بالإضافة إلى ضعف البصر وإدمان الخمر. وقطعتْ العلاقة في ليلة خريفية عاصفة وكنا وقتها...

صرخ الرئيس:

ـ بروفسور! عندما تكتب كتاباً عن ذكرياتك أرسل لي نسخة منه وأعدك أني سوف أستمتع بهذه القصص. أمّا الآن فأودّ الحديث معك عن دنسكو، وعن الاستراتيجية التي ستتبعها لنضمن نجاحك.

ـ كنت أعتقد أن المسألة مضمونة.

ـ أرجو أن تكون مضمونة، ولكن هناك حملات ضارية يتبعها اقتراع سرّي.

ـ حملات ضارية؟! هذا شيء مؤسف! مؤسف للغاية! ونحن على أبواب الألفية. رأى فرويد أن كره الطفل الدفين لوالده هو الذي يتحوّل عندما يكبر إلى نزعة عدوانية تستغلّها الدول لإشعال الحروب. واقتراع سري؟! هذا شيء مخجل! أين الشفافية؟ أين...

قاطعه رئيس الاتحاد:

ـ عزيزي البروفسور! شكراً جزيلاً! تستطيع أن تعود إلى جامعتك الآن.

ـ جامعتي؟ لم أفهم. ألم تقل قبل قليل إني سوف أذهب إلى تلك المدينة التي...

ـ إذهب إلى أي مكان تريده. ودعني في سلام. إذهب الآن. إلى اللقاء!

❁ ❁ ❁

احتضن رئيس اتحاد عربستان مرشح القارة وقبّله على وجنتيه، وقال:

ـ سوف نبذل أقصى جهودنا لتنجح، لا تقلق.

ـ تَحقّر عندي همّتي كل مطلبٍ ∴ ويقصر في عيني المدى المتطاولُ

ـ لا شك عندي في ذلك. سوف نحشد لك الدعم من كل دولة عربستانية ومن...

ـ ولا تطمعنْ من حاسدٍ في مودّةٍ ∴ وإن كُنْتَ تبديها له... وتنيلُ

ـ أعوذ بالله! ما هذا التشاؤم؟

ـ ومن عرف الأيام معرفتي بها ∴ وبالناس روّى رمحه غير راحمِ

ـ عزيزي المرشح! أنت شاعر رومانسي والرومانسيون قوم متفائلون ممتلئون بحب الأمل وحب الحياة ولا...

ـ لا يخدعنْك من عدوّ دمعه ∴ وارحمْ شبابك من عدوّ تَرحَمُ

ـ أي أعداء؟ أيّد ترشيحك جمع حاشد من الأصدقاء ومن..

ـ فلم أر ودّهم إلا خداعاً ∴ ولم أر دينهم إلاّ نفاقا

ـ نعوذ بالله من غضب الله ومن سوء الظن. ما دامت هذه

هي نظرتك فلماذا وافقت على الترشيح؟

- سبحان خالق نفسي! كيف لذّتها ∴ في ما النفوس تراه غاية الألم

- ممتاز! التحدي! التحدي الكبير هو الذي يحركك.

- وما رغبتي في عسجدٍ أستفيده ∴ ولكنها في مفخرٍ أستجدّه

- احسنت! وسوف ننتصر. ونفخر بنصرنا.

- فارم بي ما أردت مني فإني ∴ أسد القلب... آدميّ الرُواءِ

- لا بدّ من التخطيط لحملة انتخابية محكمة تقوم على الإقناع و...

- من أطاق التماس شيء غلاباً ∴ واغتصاباً.. لم يلتمسه سؤالا

- ولكننا لسنا القارة العظمى. لا نستطيع أخذ المنصب اغتصاباً. لا بد أن نسعى للحصول على تأييد..

- ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى ∴ عدوّاً له ما من صداقته بدُّ

- صدقت! صدقت!

قام المرشح، وهو يردد:

- ومطالب فيها الهلاك أتيتها ∴ ثَبْت الجنان، كأنني لم آتها

❀ ❀ ❀

نظر مرشح القارة الجنوبية إلى أعضاء حملته الإنتخابية باحتقار واضح، وقال:

- ماذا تريدون؟ لماذا طلبتم الاجتماع بي؟ ألا تعرفون أن وقتي ثمين جداً؟

قال مدير الحملة:

ـ السيد المرشح! نود أن نبحث...

قاطعه المرشح:

ـ فخامة الرئيس! قل «فخامة الرئيس»! هل نسيت من أنا؟ كنت رئيساً للجمهورية وسوف أعود إلى رئاسة الجمهورية بمجرد انتهاء الفترة التي نصّ عليها الدستور الغبي الذي يمنع الإنسان من أن يخلف نفسه في المنصب. كان المفروض أن ألغي هذا الدستور. وأن أحلّ البرلمان الذي أقرّه. على أية حال، ماذا تريدون؟

ـ نود أن نبحث معكم استراتيجية الحملة.

ـ أي حملة؟

ـ الحملة الإنتخابية التي سوف تضمن فوز فخامتكم بقيادة دنسكو.

ـ هذه المنظمة التافهة!

ـ عفواً! فخامة الرئيس، إذا كان هذا رأيك في دنسكو فلماذا قبلت الترشيح؟

ـ ألم تسمع يا غبيّ ما...

ـ عفواً! السيد المرشّح! إحترم نفسك. أنا لا أعمل موظفاً لديك. أنا متطوّع أخدم مصالح قارّتي، وإذا كنت لا تستطيع التعامل معي بأدب فسوف أنسحب فوراً.

ـ حسناً! حسناً! أعتذر. ألم تسمعني قبل لحظة أقول إنني سوف أعود إلى الرئاسة بعد الفترة التي نصّ عليها الدستور، ٥ سنوات؟

ـ سمعتك. ما علاقة ذلك بالترشيح؟

ـ علاقة ذلك يا... أعني يا عزيزي أني قبلت لأني أريد أن أتسلّى بدنسكو خلال هذه الفترة، مجرد تسلية، حتى يحين الوقت لعودتي إلى عملي الحقيقي.

ـ السيد المرشّح! لو عرف أحد نواياك فلن تنتخب. لن يصوّت لك عضو واحد في مجلس الحكماء.

ـ هل جننت يا... يا عزيزي؟ هذه فرصة تاريخية أرسلها القدر لهذه الإدارة المسخ. سوف يصوّت مجلس الحكماء لي بالإجماع. هل سمعت؟ بالإجماع! من أين يعثرون على إنسان له خبرتي؟ هل تعرف معنى أن يكون المرء رئيس جمهورية؟ معنى رئاسة الدولة أن تكون القائد الأعلى لنصف مليون عسكري. أنت تتحكم في البلايين من الدولارات. هذه الإدارة، بعد الدولة، لا شيء غير نقطة في محيط. أستطيع أن أديرها وأنا هنا. أستطيع أن أديرها وأنا نائم. أستطيع أن أديرها وأنا ميّت.

ـ السيّد المرشح! رجاءً! رجاءً! إذا انتشر هذا الكلام فلن يصوّت أحد. رجاءً.

ـ حسناً! سوف أحتفظ برأيي لنفسي.

ـ هذا أفضل. قد أعددنا برنامجاً متكاملاً للحملة يشمل موقعاً في الأنترنت وكتيبات تعريفية وبرنامجاً لتطوير...

قاطعه المرشح بضحكة مدوية، وقال:

ـ أنترنت؟! كتيبات؟! للتعريف بي؟! بي أنا؟! هل نسيت من أنا؟ لا يوجد رئيس دولة في العالم لا يعرفني، ولا يهمني أن يعرفني الرعاع أو لا يعرفوني.

ـ ما هي خطتك إذن؟

ـ سوف أزور ٦٠ دولة رئيسية في القارات الست. وأجتمع مع رؤساء الدول. مع الرؤساء فقط! مع أصدقائي وأندادي. هذا هو شعاري: ٦٠ رئيساً في ٦٠ يوماً!

❁ ❁ ❁

إبتسم رئيس اتحاد قارة الفرنجة، وقال لمرشح القارة:

ـ أشكرك على قبول الترشيح. أشكرك من أعماق قلبي.

ـ «مدفوعاً بحزني، وقلة صبري

أجبتُ دون تفكير،

ولا أدري ماذ قلت»

ـ قلت إنك ترحّب بالترشيح

ـ «دعوني أحمل أحبكم

وسوف أحمل همّكم»

ـ هذا ما سوف يكون.

ـ «بكل الأشياء الفظيعة والغريبة... نرحّب

أما الراحة فنحتقرها»

ـ براڤو! هذه هي الروح المطلوبة، الروح القتالية.

ـ «أعطني الرداء،

وضع على رأسي التاج،

فأنا أحمل نزعات الخلود

في داخلي»

ـ وأنت تستحق الخلود. سوف تنتصر في المعركة.

ـ «كل شيء ليس على ما يرام

أخشى أن تكون هناك مكيدة»

ـ سوف تكون هناك مكائد عديدة. ولكننا سنتصدّى لها ونحبطها.

ـ «هناك شيء عفن

في دولة الدانمرك».

ـ هناك أشياء عفنة كثيرة في دنسكو بإمكانك أن تعالجها بعد فوزك.

ـ «أليس من العجيب

أن تبقى الرغبة

بعد زوال القدرة

بسنين عديدة؟»

ـ أنت تملك القدرة والرغبة. كن واثقاً من الفوز. حصلنا على وعود بالتأييد. من كل مكان

ـ «لا تثق بأحد

فالوعود مصنوعة من القش»

❁ ❁ ❁

رن جرس التيلفون في المكتب البيضاوي، ورفع رئيس

الولايات المتحدة الأمريكية السمّاعة، وأصغى طويلاً ثم قال:

ـ بطبيعة الحال، رئيس الوزراء. بطبيعة الحال، أنا أتذكر قرار القمة الاقتصادية الماضية. وسوف نكون معكم. أنت تعرف أننا لسنا أعضاء في الإدارة ولكننا سوف نساعدكم من وراء الكواليس. حظاً سعيداً!

❀ ❀ ❀

سرت إشاعة قويّة في مقر دنسكو تقول إن مرشّح القارة العظمى في حالة نجاحه سوف يفصل ٨٠٪ من الموظفين العاملين في الإدارة، وإنه سوف يبدأ بالموظفين الذين كانوا مندوبين مؤقتين، وأثارت الإشاعة الكثير من الذعر والهلع بين الموظفين.

❀ ❀ ❀

صرّح مرشح القارة العذراء أنه اكتشف مؤخراً، أنه لا يوجد أي فرق بين مخّ الإنسان ومخّ الشمبانزي. وقد أثار هذا التصريح، الذي أدلى به لعدة صحف، الكثير من الاستغراب. واكتفى مدير الحملة بالقول «المعنى في بطن الشاعر». ونفى الشاعر، مرشح قارة عربستان، أن يكون في بطنه أي شيء. وسرت إشاعة في مقر دنسكو تقول إن مرشح القارة العذراء ينوي في حالة فوزه فصل الموظفين كافة وتعيين قرود من فصيلة الشمبانزي بدلاً منهم باعتبار القرود أقل كلفة وأكثر ذكاءً.

❀ ❀ ❀

قام مرشّح قارة الروسلاند بزيارة مجاملة للمدير التنفيذي في مكتبه، وبعد خروجه سأله صحفي:

ـ كيف كان الإجتماع؟

ـ أي اجتماع؟

ـ اجتماعك مع المدير التنفيذي.

ـ المدير التنفيذي؟ أنا المدير التنفيذي. كيف يجتمع الإنسان مع نفسه!

ـ بروفسور! قد تكون أنت المدير التنفيذي القادم، ولكن أسألك عما دار بينك وبين المدير التنفيذي الحالي البروفسور روبيرتو تشاينتي.

ـ آه! روبيرتو! أنا أعرف روبيرتو جيّداً. حقيقة الأمر، أنا اعتبره صديقاً عزيزاً. ما علاقة روبيرتو بالموضوع؟

ـ بروفسور! انتهيت لتوّك من اجتماع مع البروفسور روبيرتو تشاينتي ونحن نسألك كيف كان الاجتماع.

ـ لم تكن هناك اجتماعات.

ـ كيف كانت المقابلة؟

ـ آه! آه! تقصد زيارتي الودّية هذه؟

ـ بالضبط. أقصد زيارتك الودّية هذه.

ـ ماذا عنها؟

ـ كيف كانت؟

ـ كانت ودّية جداً.

❀ ❀ ❀

إخترع المندوبون المؤقتون لـ ٢٣ دولة جمعيات خيرية وهمية في دولهم، وبدأوا يجمعون لها التبرعات من أنصار المُرشّحين.

❀ ❀ ❀

تلقى رئيس مجلس الحكماء مكالمة تيلفونية من مدير شركة من الشركات التي يملكها، وهي شركة متخصصة في بيع الحديد الخردة بالجملة، وأخبره المدير أثناء المكالمة أنه وقّع عقداً ضخماً مع عميل تعهد بشراء كل الحديد المتوفّر لدى الشركة لمدة ١٠ سنوات وبسعر يزيد بنسبة ٢٥٪ عن سعر السوق السائد، وأضاف المدير أن العميل يعمل لصالح عدة شركات حديد وصلب كبرى لا يستطيع الإفصاح عن هويّتها. شعر رئيس مجلس الحكماء بقليل من الدهشة وكثير من السرور.

❀ ❀ ❀

ألقى مرشح القارة العذراء خطاباً حماسياً في جمع حاشد قال خلاله إنه سوف يقضي على الفقر في العالم كله خلال ٩١٣,٩ ساعة من فوزه بالمنصب، وقامت الجماهير بحمله على الأكتاف وهي تردد «بالدم، والروح، نفديك يا مرشّح!». عندما سمع مرشح عربستان بما حدث قال:

ـ «يا أمّةً ضحكت من جهلها الأمم»

❀ ❀ ❀

قام مرشّح القارة العظمى، الذي أشيع مؤخراً أنه يعمل نائباً لوزير التعاون الدولي في بلده، بجولة في عدد من دول القارة الجنوبية المتضرّرة من الأعاصير، ولم يكشف النقاب عن سبب الجولة.

❀ ❀ ❀

رن جرس التيلفون في مكتب المستشار الألماني الذي رفع السماعة واستمع طويلاً ثم قال:

ـ كان هناك قرار سري؟! هل أنت متأكد! على أية حال، نحن معكم. سوف نؤيدكم بدون تحفظ. إلى اللقاء.

حين وضع السماعة، قال له وزير خارجيته:

ـ السيد المستشار! هؤلاء القوم ينافسوننا في كل مكان. سياراتهم تنافس سياراتنا. معداتهم تطرد معداتنا من الأسواق. اشتروا كل شيء. والآن تسمح لهم بالسيطرة على ثقافة العالم. لماذا تفعل ذلك؟

ـ أنتم الخضر تحبّون المبالغة. عندما تجلس على هذا المعقد تبدو الأمور مختلفة بعض الشيء.

❁ ❁ ❁

سرت إشاعة قويّة في مقر دنسكو تقول إن المرشح العربستاني فور ظفره بالمنصب سوف يلغي كلمة «ديموقراطية» من ميثاق الإدارة ويضع مكانها كلمة «شريعة»، وسينهي برنامج «معرفة السلام» ويحل محله برنامجاً يسمّى «معرفة الجهاد»، واتضح أن أنصار مرشح القارة العذراء كانوا وراء الإشاعة.

❁ ❁ ❁

تلقى حكيم القارة الجنوبية مكالمة تيلفونية من الشركة العقارية التي كلّفها ببيع كوخه الجبلي في سويسرا، وأبلغته الشركة أن الكوخ تمّ بيعه لشركة عالمية كبرى تنوي أن تستخدمه منتجعاً لاستجمام كبار موظفيها. وقد بلغ من حرصها على الكوخ أن اشترته بضعف السعر المعتاد. شعر الحكيم بقليل من الدهشة وكثير من السرور.

❁ ❁ ❁

قام المرشح العربستاني بزيارة مجاملة للمدير التنفيذي في مكتبه، وعند خروجه سأله صحفي عمّا دار أثناء الزيارة فقال:

ـ ولما صـــار ودّ الـنــاس خِـبّــاً ∴ جزيت على ابتسامٍ. . . بابتسامِ

❀ ❀ ❀

عُقدتْ في دولة من دول القارة العذراء ندوة فكرية دافع فيها أستاذ جامعي مرموق عن مرشح القارة، ودافع فيها أستاذ جامعي مرموق عن مرشح قارة عربستان. وطالب أستاذ جامعي ثالث أن تتفق القارتان على مرشح واحد، هذا وقد نشبت معركة بين أنصار المرشحين قتل فيها ٧ أشخاص، وجرح ٣١ شخصاً.

تحركت القارتان بسرعة لتطويق آثار الحادث المؤسف وصدر بيان مشترك من رئيس اتحاد القارة العذراء ورئيس اتحاد قارة عربستان جاء فيه:

«إن الحادث الذي وقع أمس يدل دلالة واضحة على توافر روح التنافس الشريف لدى كل من القارتين الشقيقتين. وإن الدماء الزكية التي سالت تبرهن على حرص كل من القارتين على التفاني في خدمة الإنسانية جمعاء، كما تعكس الشجاعة الأصيلة المعروفة في أبناء القارتين العريقتين، فلا نامت أعين الجبناء».

طلبت صحيفة تصدر في القارة العذراء من مرشح القارة التعليق عما حدث، فقال:

ـ ثبت، إحصائياً، أن ٥٠٪ من المشاجرات يسبّبها السكر، و١٠٪ يسبّبها الغضب، و١٠٪ يسببها الانفعال، و١٠٪ يسببها التهور، و١٠٪ يسببها سوء الظن، و١٠٪ تسببها ذبذبات غامضة قادمة من الفضاء الخارجي. ولما كان الشيء بالشيء يذكر فإني أود أن أضيف أن المدينة التي تقود مدن العالم في عدد جرائم القتل هي واشنطن دي.سي، واحتمال أن يقتل المرء هناك هو ١ من ٢٨٥٠، تليها نيو أورليانز، واحتمال أن يقتل المرء هناك هو ١ من ٣١٤٤،

تليها ريشموند، واحتمال أن يقتل المرء هناك هو ١ من ٣٤٦٧ تليها . . .

إلتفت المرشح فوجد أن الصحفيين فرّوا هاربين من الخوف.

وفي الوقت نفسه طلبت صحيفة عربستانية من المرشح العربستاني أن يعلق على الحادث الأليم، فقال:

ـ إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقِ .ٓ. أراه غباري ثم قال له الحقِ»!

❁ ❁ ❁

عُقد اجتماع سري بين مندوب خاص يمثّل دولة القارة العظمى رقم ٤٠، ومندوب خاص يمثّل دولة القارة العظمى رقم ٢٠، وقد اتفق المندوبان على أن تقوم الدولة رقم ٢٠ بدعم الدولة رقم ٤٠ في جهودها لتظفر بمنصب دنسكو، وذلك مقابل أن تعيد الدولة رقم ٤٠ المساعدات التي أوقفتها بعد قيام الدولة ٢٠ بتفجيرات نووية.

❁ ❁ ❁

تلقى حكيم القارة العظمى مكالمة تيلفونية من زوج ابنته أبلغه فيها أن شركة عالمية كبرى تعمل في المنطقة قد اختارته ممثلاً لها، وأنه سوف يتقاضى ٣٪ عمولة عن كل عقد تظفر به الشركة. هنّأ الحكيم صهره وشعر بقليل من الدهشة وكثير من السرور.

❁ ❁ ❁

قام مرشّح قارة الفرنجة بجولة شملت ٧٧ دولة في مختلف القارات، وقدّم خلال الجولة عروضاً منتقاة من مسرحيات شكسبير، وقد امتلأت المسارح بالمشاهدين، وكان الجمهور يصفق بحماسة شديدة.



صرح أستاذ كرسي شكوكو لعلم الاجتماع بجامعة «بن ميمون» أن مرشح القارة العذراء يحظى بدعم ٩٩,٩ من مثقفي العالم، وأضاف أن الفرق بين هذا المرشح وبقيّة المرشحين هو «كالفرق بين مخّ أينشتاين ومخّ النملة».

❁ ❁ ❁

صرح الصحفي الشهير الأستاذ جيكل أن روح الزعيم المؤمن زارته في المنام وأخبرته أن مرشح القارة العذراء سوف يحظى بـ ٩٩,٩٩٩٪ من أصوات مجلس الحكماء.

❁ ❁ ❁

تلقى حكيم قارة الفرنجة مكالمة تيلفونية من شركة الأسهم التي يتعامل معها، وأبلغته الشركة أنها باعت أسهمه في شركة «مناجم الشرق الأقصى» بـ ٤ أمثال القيمة المتوقّعة، وأن الصفقة تمت عبر الأنترنت ورفض البنك الذي أتم الصفقة الإفصاح عن إسم المشتري. شعر الحكيم بقليل من الدهشة وكثير من السرور.

❁ ❁ ❁

سأل مندوب مؤقت زميله:

- كم بلغ حجم التبرعات لجمعيتك الخيريّة؟

رد زميله:

- حوالى ١٥٠,٠٠٠ دولار. ماذا عنك؟

رد الزميل:

- ٢٥,٠٠٠ دولار فقط. جمعيتي لا زالت ناشئة.

وضحكا طويلاً.

❁ ❁ ❁

دعت دولة القارة العظمى رقم ٤٠ إلى مؤتمر حضره ٢٠ رئيساً من دول القارة العذراء، وقد تقرر أثناء المؤتمر إعفاء هذه الدول من جميع ديونها المستحقة للدولة رقم ٤٠، وتبلغ ١,٢ بليون دولار، وقد أحيط المؤتمر بالسرّية الكاملة، ولم يصدر بعده أي بيان.

❁ ❁ ❁

سُئل المدير التنفيذي بعد محاضرة ألقاها بعنوان «المعرفة أساس السلام» عن رأيه في الحملة الإنتخابية الدائرة، فقال:

ـ العبرة بالشخص، والشخص وحده. قوة الدولة الاقتصادية والسياسية لا مكان لها عند التقييم. هذه دنسكو وليست بازار سُجّاد.

❁ ❁ ❁

سرت إشاعة قوية في مقر دنسكو مفادها أن مرشح قارة الفرنجة في حالة فوزه سوف يغيّر الميثاق ويجعل التمثيل الجزء الأهم من أنشطة الإدارة، وأنه سوف يقدم عروضاً تمثيلية للموظفين مساء كل خميس، وقد قوبلت الإشاعة بكثير من الحبور. وقال مندوب مؤقت عربستاني:

ـ لن يستطيع منافسة الكوميدي الأعظم، المدير التنفيذي الحالي.

❁ ❁ ❁

رن جرس التيلفون في المكتب الرئاسي بقصر الأليزيه ورفع رئيس الجمهورية السماعة وأصغى طويلاً، ثم قال:

ـ عزيزي السيد رئيس الوزراء! بطبيعة الحال، أتذكّر وعدي. وسوف أقف معكم. لديّ بعض المشاكل مع رئيس الحكومة، ولكني

سوف أتغلب عليها. سوف نحتفل معاً بالنجاح. إلى اللقاء!

❀ ❀ ❀

أقام مرشح عربستان ٨٤ أمسية شعرية في مختلف القارات، ولم يفهم الجمهور في معظم هذه الأمسيات كلمة واحدة، وفي نهاية هذه الجولة قال المرشح:

- ملاعب جنّة لو سار فيها ∴ سليمانٌ... لسار بترجمان

هذا وسأل صحفي مرشح القارة العذراء عن رأيه في الجولة العالمية الشعرية التي قام بها مرشح عربستان، فقال:

- أولاً، إليك هذه الخلفية لمعلوماتك وليست للنشر. ثبت، إحصائياً، أن ٩٪ من الشعراء يضربون زوجاتهم، و١١٪ تضربهم زوجاتهم، و ٢٣٪ لا يحلقون إلا مرّة في الشهر، و٢٠٪ لا يستحمّون إلا مرة في السنة، و٣٧٪ مصابون بأمراض جنسية مختلفة.

ثم أضاف:

- وانشر هذا التصريح «أحمل لمرشح قارة عربسان ما لا أستطيع وصفه من الاحترام والتقدير، وأحمل لمواهبه كل إجلال، وكل ما هنالك أن الخلفيتين مختلفتان، وقد ثبت، إحصائياً، أن الخلاف لا يفسد للود قضيّة إلا في ٩١٪ من الحالات».

❀ ❀ ❀

لم يعرف المندوبون المؤقتون عبر حياتهم كلّها فترة ذهبية كالتي يعيشونها في هذه الفترة، إذ يدعون إلى غداء فخم وعشاء فخم في أرقى المطاعم الفرنسية - كل يوم تقريباً.

قال مندوب مؤقت لزميله إثر عشاء فاخر دعا إليه مرشح

عربستان في جناحه الفخم:

- هل فهمت كلمة واحدة من كلام المرشح؟

ضحك زميله وقال:

- لم أفهم شيئاً. ولكنني أتمنى أن تقرر دنسكو عقد الانتخاب مرة كل عام!

❁ ❁ ❁

لم يقرأ أي رئيس دولة، في أي قارة، تقريراً واحداً كتبه مندوبه الدائم عن الحملة والمرشّحين.

❁ ❁ ❁

تلقى حكيم القارة العذراء مكاملة تيلفونية من مدير البنك الذي يتعامل معه، شكره المدير فيها على أنه تلطف بتسديد كل ديونه المتراكمة، ومقدارها ٤ ملايين دولار، وأضاف المدير أنه يسعده أن يقدم تسهيلات إضافية في المستقبل. شعر الحكيم بقليل من الدهشة وكثير من السرور.

❁ ❁ ❁

قرر نادي أثرى أثرياء العالم في اجتماع عقده في سان فرانسسكو دعم مرشح القارة العذراء، وقال النادي في تصريح تناقلته وكالة الأنباء «لقد قرر النادي اتخاذ هذا القرار إيماناً من النادي ببرنامج المرشح للقضاء الكامل على الفقر»، وأضاف التصريح: - «انطلاقاً من أفكار المرشح السديدة، قرّر النادي إقامة بنك لإقراض الفقراء تمهيداً للقضاء على فقرهم»، وأضاف التصريح «إن النادي قرر رصد ٢٥٠,٠٠٠ دولار رأسمالاً للبنك، كما قرر أن يكون القرض الواحد في حدود ٧٥ سنتاً».

هذا وصرّح مرشح القارة العذراء أنه أصبح الآن مرشح العالم كله، بفقرائه وأغنيائه.

❁ ❁ ❁

قام مرشح القارة العظمى بجولة شملت عدداً من دول قارة الروسلاند، ولم يكشف النقاب عن أي تفاصيل تتعلّق بالجولة.

❁ ❁ ❁

بلغ عدد زيارات مواقع الأنترنت التي أقامها ٤ مرشحين ٥٤,٣٠٠ زيارة، أكثر من نصفها لموقع مرشح القارة العذراء.

❁ ❁ ❁

قام مُرشّح قارة الفرنجة بزيارة مجاملة للمدير التنفيذي في مكتبه، وعقب انتهاء الزيارة سأله الصحفيون عن انطباعه، فقال:

ـ «ما أشد قلق الرأس

الذي يلبس تاجاً»

❁ ❁ ❁

تلقّى حكيم قارة الروسلاند إشعاراً من مدير البنك الذي يتعامل معه في سويسرا جاء فيه أن حسابه في البنك زاد بمقدار ٣ ملايين دولار. شعر الحكيم بقليل من الدهشة وكثير من السرور.

❁ ❁ ❁

رن جرس التيلفون في مكتب رئيس الوزراء في ١٠ داونج ستريت، ورفع رئيس الوزراء السماعة وأصغى طويلاً، ثم قال:

ـ السيد رئيس الوزراء! لا أتذكر أننا اتخذنا قراراً علنياً أو سرياً في القمة الاقتصادية الماضية. على أية حال نحن ندرس الموضوع

بعناية ولم نتخذ قرارنا بعد. أشكرك على الاتصال.

❀ ❀ ❀

دخل سكرتير مجلس الحكماء مكتب الرئيس، وقال:

ـ سيّدي الرئيس الحكيم! ماذا نفعل بالتزكيات؟

قال الرئيس:

ـ أيّ تزكيات؟

ـ بدأت تصلنا آلاف التزكيات لصالح المرشّحين من كل مكان، من أفراد وجمعيات وجامعات.

ـ ما دخل الأفراد والجمعيات والجامعات بانتخابات دنسكو؟ مجلس الحكماء، والمجلس وحده، هو الذي سيختار المدير التنفيذي الجديد.

ـ يبدو، سيّدي الرئيس الحكيم، أن هناك انطباعاً سائداً أن هذه التزكيات سوف تقوي مراكز المرشّحين.

ـ ومن أين جاء هذا الانطباع السائد؟

ـ يبدو أن السيّد المدير التنفيذي يقول في كل مكان ولكل من يقابله إن العبرة في الانتخاب بشخص المرشح وإنه كلما زاد عدد الشخصيات العالمية المعروفة التي تزكّي مرشحاً ما كلما زادت فرص نجاحه، وإنه شخصياً لم ينتخب لولا التوصيات التي جاءت...

قاطعه الرئيس بحدّة:

ـ هذا الدجّال الكذّاب! هو في موقعه لأن مجلس الحكماء انتخبه لا بسبب أطنان من الورق لم يقرأها أحد.

ـ وماذا أفعل بالتزكيات التي وصلتنا؟

ـ إقذف بها في سلّة المهملات.

ـ ألا تريد أن أوزع نسخاً منها على الحكماء؟

ـ لا.

ـ وماذا عن تزكيات الحائزين على جائزة نوبل؟

بحركة لا شعورية، قام رئيس مجلس الحكماء من مقعده، وبدأ يتجول في المكتب وهو يصيح على نحو ذكّر السكرتير بنوبات المدير التنفيذي الشهيرة:

ـ نوبل! نوبل! مخترع الديناميت! جامع الملايين من مذابح البشر. يدمّر الناس ثم يحاول التكفير عن جرائمه بجائزة. لا يمكن لجوائز الدنيا، ولا لبلايينها، أن تكفّر عن قطرة دم واحدة أُريقت ظلماً وعدواناً. لماذا يتدخل الحائزون على هذه الرشاوى المسمّمة في عملنا؟ هل هذه مؤسسة نوبل؟ دنسكو أُنشئَت لمحاربة نوبل وأمثاله من تجار الحروب ومصّاصي الدماء، والآن يريد أيتام نوبل السيطرة عليها؟ شيء عجيب! شيء مذهل! المدير التنفيذي يقيم لهؤلاء الأيتام حفلاً سنوياً في برج إيفل يكلف دنسكو آلاف الدولارات. والمرشحون يتهافتون على جمع توقيعاتهم كما يجمع المراهقون توقيعات الممثلات. إسمع! لا أريد أن أسمع عن جائزة نوبل بعد اليوم. هل فهمت؟

ـ حسناً! وماذا أفعل بتوصياتهم؟ تجاوز عددها ١٦٩ توصية.

ـ إبدأ بها. إقذفها، أولاً، في سلّة المهملات ثم ألق بقية القمامة.



تلقى حكيم قارة عربستان مكالمة تيلفونية من إبنه الذي يعمل في بنك من أضخم بنوك العالم أخبره خلالها أنه تلقّى ترقية استثنائية قفزت به ٥ مراتب فأصبح النائب الأول لرئيس مجلس الإدارة، وأضاف أن رئيسه عرض عليه أن يختار العاصمة التي يعمل فيها. هَنّأ الحكيم إبنه، وشعر بقليل من الدهشة وكثير من السرور.

❀ ❀ ❀

دعت دولة القارة العظمى رقم ٤٠ إلى مؤتمر حضرته ١١ دولة من قارة عربستان. وتقرّر خلال المؤتمر إعفاء هذه الدول من جميع الديون المستحقة عليها للدولة رقم ٤٠، ويبلغ مقدارها ٨٥٠ مليون دولار، وقد أحيطت أعمال المؤتمر بالسريّة التامة، ولم يصدر بعده أي بيان.

❀ ❀ ❀

عقد مرشّح القارة الجنوبية في منتصف جولته الانتخابية مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أنه انتهى من مقابلة ٣٠ رئيساً خلال ٣٠ يوماً وأنه يتطلّع إلى لقاء الرؤساء الباقين في الشهر القادم، وأضاف:

- إن التأييد الذي وجدته كان شيئاً لا يُصَدّق. لا يُصدّق! شكرني كل رئيس قابلته على التضحية العظيمة التي قبلت بها حين وافقت على الترشيح. أكّد لي كل رئيس قابلته أنه يستحيل العثور على قائد لدنسكو له نصف مؤهلاتي. نجاحي مؤكد ١٠٠٪. أنصح بقيّة المرشحين أن يعودوا من حيث أتوا حتى لا يعرّضوا كرامتهم وكرامة قاراتهم للإمتهان.

هذا، وطُلب من مرشح عربستان أن يعلق على تصريح مرشّح القارة الجنوبية، فقال:

- كلام أكثر من تلقى، ومنطقه ∴ مما يشق على الآذان والحدَقِ

كما طُلب من مرشح القارة العذراء التعليق، فقال:

- ثبت، إحصائياً، أن ٣٥٪ من المرشّحين يدخلون المعارك الانتخابية ولديهم شعور قاطع بالفوز، و٥٥٪ يدخلونها ولديهم شعور قوي بالفوز، أما ١٠٪ فيدخلونها بدون أي شعور على الإطلاق.

وقال مرشح قارة الروسلاند:

- نعود من حيث أتينا؟! إلى أرحام أمهاتنا؟! هذا التصريح يكشف عن عقدة أوديب خطيرة تحتاج إلى علاج نفسي فوري.

وقال مرشح قارة الفرنجة:

- «هو لا يفعل أي شيء

سوى الحديث عن حصانه»

ورفض مرشّح القارة العظمى التعليق.

❁ ❁ ❁

نظر المدير التنفيذي إلى سونيا التي جلست أمامه في وضعها المفضّل، وتأمل الفخذ الشهيّ الذي انزلق عنه الفستان، وقال:

- سونيا! ما هي الأخبار؟

- كل شيء يسير طبق الخطة المرسومة. يسير كالساعة. سوف يحطم المرشحون بعضهم بعضاً ولن يحصل أحد على الأغلبية، وستعود أنت.

- ترشيحات غريبة بعض الشيء يعجز الإنسان...

- سبق أن قلت لك: هذا من حسن حظك.

ـ وماذا عن مرشّح القارة العظمى؟ هنا مصدر الخطر الأعظم.

ـ مرشّح القارة العظمى لا يتكلم. لم ينطق بكلمة واحدة منذ ترشيحه. ولم يقابل صحفياً واحداً. خلق انطباعاً سيّئاً عند الجميع.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ هذه إدارة كلام! هاه! هاه! هاه! عفواً، روبيرتو! أقصد أن من يتولى قيادة هذه الإدارة يجب أن يكون قادراً على التعبير، على الوصول إلى الآخرين، يجب أن يكون بارعاً في الإقناع، مثلك يا حبيبي.

ـ هناك شاعر وممثل بين المرشحين.

ضحكت سونيا، ولم تجب.

❁ ❁ ❁

تلقّى كل مندوب مؤقت في دنسكو ١٢ صندوق شمبانيا فاخرة من شركة نبيذ مشهورة، وقد أعاد ٩ مندوبين الصناديق إلى الشركة، أما الـ ٩٩ الآخرون فقد قرروا الإحتفاظ بها.

❁ ❁ ❁

قام مرشح القارة العذراء بزيارة مجاملة للمدير التنفيذي في مكتبه، وإثر خروجه سأله الصحفيون عن المقابلة، فقال:

ـ قضيت مع المدير التنفيذي ٣٣ دقيقة، ذهب ٣٠٪ منها في السؤال المتبادل عن الصحة، و٣٥٪ في محاضرة ألقاها المدير التنفيذي عليّ، و٣٥٪ في محاضرة ألقيتها أنا على المدير التنفيذي، وقد رنّ جرس التيلفون أثناء المقابلة ٧ مرّات، وبهذه المناسبة أحب أن أذكّر بأن الدولة التي تقود العالم في عدد المكالمات التيلفونية الدولية هي

سويسرا بمعدل ٢٤٧ دقيقة لكل فرد سنوياً، تليها بلجيكا بمعدل ١٥٠ دقيقة، ثم كندا بمعدل ١٠٠ دقيقة ثم. . .

إلتفت المرشح حوله فلم ير أحداً من الصحفيين.

❀ ❀ ❀

قام مرشّح قارة الروسلاند بجولة شملت ٥٨ دولة من مختلف القارات، وفي ختام الجولة عقد مؤتمراً صحفياً قال فيه:

- كانت الجولة نافعة جداً، أعني كانت نافعة جداً لي. اطّلعت على المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في هذه الدول واكتشفت أنها، في النهاية، تعود إلى أسباب نفسية خالصة، ترجع إلى الفشل في التأقلم مع قيم. . .

قاطعه أحد الصحفيين:

- وماذا عن دنسكو؟

- دنسكو؟ حسب علمي أنها بخير. لماذا تسأل؟

- ألم تكن جولتكم بقصد حشد الدعم لترشيحكم لتولّي منصب المدير التنفيذي لدنسكو؟

- بطبيعة الحال! بطبيعة الحال! ولكن الجولة كانت فرصة أتاحت لي تشخيص العلل التي تنشأ من تفاعل الذات مع. . .

- بروفسور! هل لمست دعماً من الدول التي زرتها؟

- بطبيعة الحال! بطبيعة الحال!

- كم دولة وعدتك بالمساعدة؟

- آه! كم! كم! لعبة الأعداد! يبدأ الطفل لعبة الأعداد في سن

مبكرة. حقيقة الأمر أن الطفل يبدأ في العد قبل أن يبدأ القراءة والكتابة بفترة طويلة. كم عدد أصابعك؟ كم عدد التفاحات؟ وهلمّ جرا! وهذا سبب رئيسي في نشوء الطفل وهو ينظر إلى الدنيا بمنظار رقمي، بمنظار الكميّة لا النوعية. وقد أوضحت في كتابي «وباء الأرقام» المخاطر التي...

إنفضّ الصحفيون من حول البروفسور، وتركوه، بمفرده، ينفث دخان غليونه، ويحاضر.

❀ ❀ ❀

قام مرشح القارة العظمى بزيارة مجاملة للمدير التنفيذي في مكتبه، ورفض بعد انتهاء الزيارة الإدلاء بأي تصريحات.

دخلت سونيا المكتب بمجرد خروج المرشّح وسألت المدير التنفيذي بلهفة:

- روبيرتو! روبيرتو! ماذا قال؟

- لم يقل شيئاً.

- ماذا تعني؟

- أعني أنه لم يقل شيئاً.

- وماذا عنك؟

- حاولت الحديث مرتّين ولكنه اكتفى بهز رأسه، فاضطررت إلى السكوت.

- وماذا فعلتما خلال نصف ساعة؟!

- وقفنا أمام النافذه نتأمّل برج إيفل.

ـ وأنتما صامتان؟

ـ صامتان تماماً.

ـ ألم أقل لك إن مجلس الحكماء لن ينتخب رجلاً عاجزاً عن الكلام؟

❀ ❀ ❀

ألقى مرشّح القارة العذراء ٣ محاضرات في العاصمة مقرّ الإدارة، وكان موضوع المحاضرة الأولى «مشكلة المياه العالمية وكيف نجحت في التغلب عليها بمفردي». وكان موضوع المحاضرة الثانية «مشكلة البطالة وكيف نجحت في التغلب عليها بمفردي». وكان موضوع المحاضرة الثالثة «الفرق الوهمي بين مخّ شكسبير ومخّ الشمبانزي». وقد بهر المحاضر المستمعين بسعة ثقافته وغزارة معلوماته وإجادته الكاملة لـ ٧ لغات حيّة و١١ لغة ميّتة. وفي نهاية كل محاضرة وُزّع على الموجودين مجلّد يحتوي على أسماء الشخصيات العالمية التي زكّت المرشّح، ويبلغ وزن المَجلّد ٢١ كيلوجراماً.

❀ ❀ ❀

رفض مرشّح القارة الجنوبية أن يقوم بالزيارة التقليدية للمدير التنفيذي وأصرّ على أن يأتي الأخير لمقابلته. رفض المدير التنفيذي وقال لسونيا:

ـ البغل المغرور! ليذهب إلى الجحيم!

❀ ❀ ❀

خلال زيارة قام بها لمقر دنسكو، التقى مرشح قارة عربستان وجهاً لوجه بسونيا، لأول مرة، فوقف مذهولاً، ثم أنشد:

علّلينا بحسن وجهك ما دام، فحسن الوجود حال تحولُ

وصلينا نصلك في هذه الدنيا، فإن البقاء فيها قليلُ

سونيا، التي لم تفهم شيئاً، كافأته بقبلة حارة على فمه وانصرفت، وتركته يردد:

ـ أَريقُك؟ أم ماء الغمامة؟ أم خمرُ؟ ∴ بفيَّ بَرودٌ وهو في كبدي جمرُ

❀ ❀ ❀

نظر رئيس دولة القارة العظمى رقم ٤٠ إلى المرشح، وقال:

ـ لديّ في هذا الملف وثائق مكتوبة من ٩١ رئيس دولة كلها تتعهد بدعمك. ألا تعتقد أن هذا يكفي لفوزك؟

نظر المرشح إلى الرئيس بذهول، وقال:

ـ لا أدري، سيدي الرئيس. حقيقة، لا أدري.

الفصل السادس
المدير التنفيذي

أغسطس ١٩٩٩

في الحديقة الصغيرة. في المنزل القديم. في نهاية الإجازة القصيرة. أن تستلقي على المقعد الخشبي. وتغمض عينيك. وتستسلم للشمس الحنون. وتسمع صوت أمك العجوز في الداخل تعدّ الطعام. وتسرح بأفكارك. وتسمع صوت زوجتك تلعب مع حفيدكما. أن تنسى العالم كلّه. وألف مليون أميّ. وألف مليون فقير معدم. وألف مليون فقير شبه معدم. أن تقضي ساعة كاملة بلا مواعيد. بدون وزير ثقافة يريد مليون دولار لجامعة. بدون وزير خارجية يريد فتح فرع جديد. بدون رئيس جمهورية يرجو أن تعلن عاصمته حاضرة ثقافية. قرار واحد من رجل واحد وتصبح أي عاصمة مغرقة في الجهل حاضرة ثقافية. معجزة!. أن تكون حرّاً. تصحو حين تريد. وتنام حين تريد. وتقرأ كتاباً. أو تتسكّع في الشارع. أو تذهب إلى السينما. أو إلى المسرح. أو لا تذهب إلى أي مكان. تبقى في البيت. تشاهد برنامجاً فكاهياً في التلفزيون. أن تكتب شيئاً ما. شيئاً عفوياً. أن ترسم على الورقة فيلاً. كما كنت تفعل يوم كان ابنك طفلاً. وتطلب منه أن يذكر اسم الحيوان.

ويقول بخبث الأطفال: «أرنب!». وتضحكان معاً. يوم كانت الحياة مراهقة. وكنت أنت شاباً. لم تصبح بروفسوراً. وكانت زوجتك فتاة جميلة. لم تصبح بروفسورة. وكان أقصى طموحك أن تصل إلى اكتشاف علمي جديد قبل زملائك. حسد العلماء الشهير! أن تعود من جديد إلى تلك الحياة القديمة. أن تتحرر من كل القيود. من الإدارة. من صداع الإدارة اليومي. من عجز الميزانية. من غباء مجلس البلهاء. من خيانة الفرنجة. أن تملك زمام حياتك. أليست هذه هي السعادة؟ أن تمشي فلا يتبعك حشد من الأعوان. يتصيدون قراراتك. أن تسافر فلا يودّعك موظفون كبار. ولا يستقبلك موظفون كبار. أن تقضي أسبوعاً كاملاً بلا مؤتمرات. بلا ندوات. بلا ورشات عمل. بلا تصريحات. بلا صحفيين. بلا هجوم وهجوم مضاد. أن تضيع بين الناس. شأنك شأن أي كمسّاري مغمور. أو أي محاسب مغمور. أو أي جزّار مغمور. لا يجري وراءك العشرات حيث تذهب. هذا يريد وظيفة. وهذه تريد ترقية. وذاك يريد نقلاً. والوساطات. الوساطات القاتلة. أن تعجز عن تعيين نحلة. أو ترقية بعوضة. أو نقل خنفساء. أن تنساك الوساطات. أليست هذه هي السعادة؟ وسونيا تزعم غير ذلك. سونيا تزعم أنك أدمنت المنصب. المصعد الذي يخصص لاستعمالك وحدك. دقيقة واحدة - ويبقى مقفلاً بقية اليوم. والمنافقين الذين يقفزون كلما أقبلت. والزيارات الرسمية. والأوسمة. وشاح النيل. قلادة نياجرا. نجم القارة العظمى. شمس القارة الجنوبية. البساط الأحمر. والحديث مع رئيس الدولة. سيدي الرئيس! المعرفة! المعرفة! المعرفة! يجب أن تكون هذه أولويتك الأولى. قبل الأمن. قبل كل شيء. يجب أن تهتم بالمعرفة شخصياً، سيدي الرئيس. اعتمد على نفسك. لا تطلب معونة من أحد. المعونات هي الرق الجديد. لا تطلب قرضاً من أحد. القروض هي الاستعمار الحديث. اعتمد على قدرات بلدك الذاتية، سيدي

الرئيس. دنسكو في خدمتك. ولكن لا تعتمد عليها. اعتمد على نفسك. ارفع مخصصات المدارس في الميزانية. تابع ذلك بنفسك، سيدي الرئيس. أرجوك، سيدي الرئيس. ويودعك الرئيس. كاميرات التيلفزيون. والصحفيون. بحثنا التعاون في شتى المجالات. الصورة المبتسمة. عشرات في الشوارع. يضحكون. ويحيونك. سيارة عليها علم يرفرف. لا بد أن يكون راكبها شخصاً مهمّاً. لا يوجد شخص غير مهم في سيارة يرفرف عليها علم. باستثناء السائق. وتأخذك السيارة إلى الفندق الفاخر. والجناح الفاخر. وامرأة تطرق الباب. امرأة معجبة بك. تريد توقيعك. تبدأ القصة دائماً بالتوقيع. النجم. النجم الثقافي، النساء! النساء! النساء! منذ كنت مراهقاً وأنت تعشق النساء. والنساء يعشقنك. هذه هي مشكلتك الوحيدة مع زوجتك. التي تفهم أحياناً. وتغضب أحياناً. وتقضي أسابيع في الفيلا الفخمة التي تملكانها في ميلانو. في مكتبتها الضخمة. المليئة بكتب الأدب المقارن. بروفسورة الأدب المقارن. النساء دخلن حياتك قبل دنسكو. ولكنهن زدن بعد دنسكو. أضعافاً مضاعفة. نساء في كل مكان. سكرتيرات. مستشارات. عشيقات. صديقات. ثريات. فقيرات. كونتيسات. سفيرات. وزيرات. مندوبات. طالبات. بروفسورات. شابات. كهلات. امرأة تطرق باب الجناح. سونيا في المقر. سافرت بدونها هذه المرّة. الخيانة الزوجية موضوع معقد جداً. لم يستطع حتى فرويد تفسيره. والذي يخون زوجته لم لا يخون عشيقته؟ وما لا تعرفه لا يضرّك. امرأة سمراء فاتنة. توقّع لها على كتاب من كتبك. وتدعوها للبقاء. وتبقى. ليلة لا تنسى. وفي الصباح، رئيس الوزراء. المعرفة، سيدي رئيس الوزراء، المعرفة! أولوية الأولويات! وكاميرات التلفزيون. والصحفيون. بحثنا التعاون في شتّى المجالات. وبعد الظهر زيارة للمدينة التاريخية. التي ساهمت دنسكو في إعادة بنائها. والدليلة جميلة جداً. تنظر إليك بشغف. رسالة واضحة.

وتبتسم بدلال وهي تتحدث. والكاميرات. والخطاب. فرصة سعيدة. وشرف أكبر. أن أكون هنا اليوم. في هذه المدينة التاريخية. التي شهدت تباشير الحضارة. وفجر المعرفة. أن أراها تبعث من جديد. بجهد دولي جبار. شاركت فيه كل قارة. وقادته دنسكو. سعادة غامرة. أن أرى التاريخ بعيني. وأسمعه يتكلّم بفصاحة. خلف كل حجر. تاريخ العالم المكتوب بالأحجار. أصدق من كل الكتب. ومن كل المؤرخين. التصفيق المؤدّب. وهمسة سريعة في أُذن الدليلة الجميلة. التي تتظاهر أنها لم تسمع. والعلم يرفرف على السيّارة. والعاملون في المشروع يصفّقون. وتبتسم. وترد التحية. قيصر يحيي جنوده! وتنتقل من المشروع إلى مدرسة من مدارس دنسكو. تدخل أول فصل يقابلك. وتقول للمدرس: «كنت أعلّم الأحياء مثلك». ويضحك المدرس بسرور. ويضحك الطلبة. وتكمل أنت الدرس. ويطلب المدرّس صورة معك. ويطلب الطلبة صورة معك. وتبتسم. المدرّج. والكلمة القصيرة. أنتم أمل المستقبل. أمل البشرية. جيل السلام. جيل معرفة السلام. جيل دنسكو. التصفيق الحار. والسيارة ذات العلم المرفرف. وتنطلق إلى جمعية حماية الطبيعة. وتستمع إلى خطب مملّة. ثم تقف. وتلقي الكلمة الرئيسية «الطبيعة والسلام». الطبيعة متناغمة مسالمة. بشرط أن نحافظ على براءتها. ألاّ نفسدها بتدخّلنا الإجرامي. ألا نشعل الحروب في قلبها. ألا نصدّر إليها كل نفاياتنا. وشرورنا. وأحقادنا. التصفيق الحار. وشهادة تذكارية من رئيس الجمعية. والعودة إلى الفندق. قبيل منتصف الليل. وطرقات على الباب. في الموعد تماماً. وتدخل الدليلة الجميلة. وتذهبان إلى الشرفة. والقمر يلثم الجبال. وتتحدث أنت طويلاً. كعادتك. تتحدث عن أحلامك. عن المدارس للأطفال المشرّدين. عن توفير العمل للرجال الجائعين. عن الأجيال التي لم تولد. وتتأملك المرأة الجميلة. مأخوذة بك. مذهولة بك. معجبة بكلامك وبك. تصبح

جزءاً من حلمك. وتود أن تشاركك العبء. تود أن تعمل معك في خدمة الإنسانية. ويمتزج شعرها بضوء القمر. وتقترب منها. وتقترب منك. ليلة لا تنسى. وسفر في الصباح. لا وقت للوداع. لا وقت للدموع. لا وقت للكلمات. لا وقت للزهور. ستفهم امرأة الليلة الأولى. وستفهم امرأة الليلة الثانية. هموم الإنسانية التي تسحقك سحقاً. تشغلك حتى عن إرسال باقة زهور. طائرة خاصة. أرسلها رئيس الجمهورية. ومضيفة جميلة تبتسم. ينبغي الحذر. كثير من المضيفات يملكهن رؤساء الجمهوريات. كما يملكون الطائرة. تعاملها بشيء من الرسمية. كما يليق بكبار الشخصيات. المطار. ووزير التربية في انتظارك. وعناق حار. تناول وزير التربية فطوراً من حساء الثوم. سيارة يرفرف عليها العلم. وهنا وهناك عبر الطريق من يقف ويصفّق ويحيّي. وتبتسم أنت. وترد التحية. رعاياك! الذي تسهر من أجلهم. من أجل أن يتعلّموا. ويجدوا عملاً. ويعيشوا بسلام. أطفالك الذين تحبّهم. كما تحب أنطونيو. الذي كنت تسميه توني. حين كان طفلاً. ثم كبر. وأنجب طفلاً بدوره. وأصبحت تسمّيه أنطونيو. وسمّى هو الطفل روبيرتو. روبيرتو الجد. وروبيرتو الحفيد. سيذكرك الناس بعد موتك. آه! روبيرتو الصغير! كان جدك مديراً تنفيذياً لدنسكو. دنسكو؟! ما هي دنسكو؟ ما أسرع نسيان الناس. اجتماع مع رئيس الجمهورية. المعرفة، سيّدي الرئيس. الأولوية المطلقة. بلا قروض، رجاءً. بلا معونات، رجاءً. إحذر الرق الجديد سيدي الرئيس. كاميرات التيلفزيون. والصحفيون. بحثنا التعاون في شتى المجالات. وتنتقل مع وزير التربية إلى معهد الاجتماع الجديد. الذي أقيم بمنحة من دنسكو. تتجول في المعهد. تتحدث مع هيئة التدريس. كلمة قصيرة. وهناك امرأة جميلة تنظر إليك. بالوله المعتاد. لا يمكن الهمس في أذنها هنا. من المعهد تنطلق إلى الغداء الذي يقيمه الوزير تكريماً لك. أطعمة كثيرة غريبة.

مطهيّة بالثوم. والثوم والعشق عدوان لدودان. تكتفي بسلطة الخضروات. الخطابان المتبادلان. ويقلدك الوزير الوسام الذي تفضّل رئيس الجمهورية بمنحه. وسام الغمامة الذهبية. وكاميرات التيلفزيون. والصحفيون. ويعتذر الوزير ويذهب. وتزور أنت فرع دنسكو. وتستقبلك المرأة الجميلة. مفاجأة سارة. مساعدة مدير الفرع. موظفة من موظفاتك. لقاء مع العاملين في الفرع. كلمة قصيرة. وفي المساء عشاء مع جمعية الآثار. الخطب المملة. وتلقي أنت الكلمة الرئيسية، الآثار: تاريخ البشرية الحجريّ. التصفيق المؤدب. الهدية التذكارية. تعود إلى الفندق. ترافقك المرأة الجميلة. تدعوها إلى جناحك. تتأملان القمر. من حسن الحظ أنها لم تحضر مأدبة الوزير الثومية. ليلة لا تنسى. والسفر في الصباح الباكر. العودة إلى المقر. من المطار إلى المكتب. لا راحة للأشقياء. وسكرتيرتك تقف بالانتظار ومعها قائمة المواعيد التي لا تنتهي. وزراء. موظفون في الإدارة. مندوبون مؤقّتون. وليمة غداء تكريماً للمشاركين في ندوة. اجتماع هيئة المبنى. المطلوب ١٥٤ مليون دولار لترميم المقرّ. من أين تأتي؟ من بابا نويل؟ اجتماع لجنة البرامج. رئيس مجلس البلهاء يود رؤيتك. أنت تذهب أو هو يجيء؟ اللعبة السخيفة. المزيد من الوزراء. سونيا. المستشارون. وليمة عشاء تكريماً لرئيس وزراء يشارك في مؤتمر. تعود إلى الشقة مرهقاً. زوجتك لم تعد من ميلانو. تنتقل إلى شقة سونيا. ليلة لا تنسى. هل هذه هي السعادة! وهل أدمنت هذا كله؟ الإدمان شيء مرعب. شيء مخيف. أن تتعود على شيء ما حتى لا تستطيع العيش بدونه. ترتعش إذا لم تحصل عليه. تصاب باكتئاب. تعجز عن الحركة. وهل هناك فرق بين إدمان وإدمان؟ أسألك يا أستاذ الأحياء، سابقاً! هل هناك فرق بين إدمان المجد وإدمان الهيروين؟ بين إدمان الشهرة وإدمان الكوكاكيين؟ بين إدمان المال وإدمان النيكوتين؟. الأعراض

واحدة. الإدمان شيء قذر. بجميع أنواعه. هل أصبحت تدمن الأشياء القذرة؟ أنت؟! أنت؟! أنت الذي هاجمت المدير التنفيذي يوم كنت نائبه لأنه أدمن المصعد المخصص لاستخدامه وحده. وأدمن الحاشية. وأدمن المستشارين. وأدمن رؤساء الدول. وتصديت أنت له. وقلت إنك ستنقذ الإدارة من الفساد. وصدّقك الجميع. هل أصبحت مثله؟ هل أصبحت أسوأ منه؟ هل يوجد شيطان لئيم يقبع تحت كرسي المدير التنفيذي ويتقمص الشخص الطيب الذي يجلس على الكرسي فيحوله إلى شيطان؟ شيطان بوجه إنسان. شيطان إنساني. يحب الإنسانية. هل أصبحت تدمن الأشياء القذرة؟ أنت؟! أنت؟! أنت الذي أوقفت المخصصات الشهرية التي كانت تدفع لعدد من المندوبين المؤقتين وتسمى مشاريع. أنت الذي عيّنت مراقبي الحسابات. وبدأت الإصلاح الإداري. وفتحت الفروع. وفرضت اللامركزية فرضاً. وضاعفت التمويل الخارجي. وأوجدت معرفة السلام. أأدمنت الأشياء القذرة؟ قل لي بصراحة، بصراحة متناهية، ماذا أدمنت؟ هل أدمنت المنصب؟ أم أدمنت خدمة البشرية؟ خدمة البشرية إدمان من نوع مختلف. إدمان غير قذر. إدمان رائع. أن تهدر أغلى أيامك تلهث من عاصمة إلى عاصمة. تعاني ويلات السفر. وعذاب الحديث مع الرؤساء. ووجع الكلام مع الوزراء. وألم الخطب التي تستمع إليها. وألم الخطب التي تلقيها. الأسطوانة المشروخة. والطعام الذي لا ينتهي. والجولات التي لا تنتهي. والنساء المزعجات اللواتي يطاردنك كخفاشات مصّاصة دماء. والصحو مبكراً. وحديث ممل آخر مع رئيس ممل آخر. ومباحثات سخيفة جديدة مع وزير سخيف جديد وتتحمل. وتبتسم. وتضحك. ويعتقد الناس أنك سعيد جداً. سعيد بالكاميرات والصحفيين. سعيد بالتصفيق. سعيد بالمرأة الجميلة العابرة. وماذا عن شعورك الحقيقي، الحقيقي جداً؟ وأنت تحفر الصخر بأظافرك لكي تفتح مدرسة واحدة. لكي تحافظ

على بحيرة نقية واحدة. لكي تحمي أثراً تاريخياً من الضياع. ومطار جديد. ووزير مزعج جديد. ورئيس دولة جديدة. وكلام مكرور. ووليمة مكرورة. وزيارات مكرورة. ومعاهد مكرورة. وآثار مكرورة. وتعود في المساء. بشيء يشبه الرضا. لأنك أقنعت الرئيس الممل بزيادة مخصصات المدارس في الخطة الخمسية. لأنك أقنعت الوزير المزعج بالانضمام إلى معاهدة حماية الطبيعة. لم يضع اليوم هدراً. ومع ذلك تشعر بالعناء. تشعر أنك على وشك الانفجار. والمرأة الجميلة التي تطرق الباب. من الذي استباح جسد من؟ استبحت جسدها أنت؟ أم استباحت جسدك هي؟ البادئ أظلم. ومن البادئ؟ والسفر مبكراً. والعودة إلى المقر. ودورة جديدة من دورات مجلس البلهاء. التي لا تنتهي. كأنها العادة الشهرية. تجيء بانتظام. مصحوبة بآلام في المعدة. وصداع شديد نصفي. نعم، سيدي الرئيس الحكيم! بطبيعة الحال! سوف تكون الدراسة جاهزة. في أقرب فرصة. في أقرب فرصة. لا تريدون فروعاً جديدة؟! لماذا؟ لماذا، سادتي الحكماء؟! لا بد أن نعمل على الطبيعة. لا بد أن ننتقل إلى البشر. في قراهم. في غاباتهم. في صحاريهم. لا نستطيع، سادتي الحكماء، أن نشعر في هذا المبنى الفخم بآلام المشردين. رجاءً، سادتي الحكماء. لا تقلّصوا الميزانية. أستحلفكم بالله! هذا المعهد سوف يدرب آلاف الأساتذة. لا تحذفوه! وهذه المدرسة هي أول مدرسة تفتح في هذه القرية. مدرسة نموذجية. أبقوها، بحق السماء! السفر! لا حلّ سوى السفر! البعد عن المقر. والوجوه الكئيبة في المقر. أنا سعيد بوجودي هنا، سيدي الرئيس. أشكرك على حضورك، السيد المدير التنفيذي. هناك رجاء بسيط. أن تفتح فرعاً هنا. أتمنى أن نحتفل بافتتاحه معاً، أنا وأنت. في الميزانية القادمة. أعدك، سيدي الرئيس. شكراً، السيد المدير التنفيذي. وهناك رجاء بسيط. أنا تحت تصرفك، سيدي الرئيس. لديّ مواطن

نادر. من نوع فريد. إنسان مثقف ثقافة موسوعية. وله خبرة طويلة. كان وزير ثقافة. وسوف يكون مكسباً لدنسكو. صدقني! أرجو أن تتمكن من إيجاد عمل له في الإدارة. سيدي الرئيس، رجاؤك أمر. أرسله لي. سأوظفه عندي. في مكتبي. أشكرك. السيد المدير التنفيذي. لن أنسى لك هذا الجميل. هناك موضوع حساس بعض الشيء، سيدي الرئيس. لا! لا! لا! لا حساسية بين الأصدقاء. مندوبك المؤقت، سيدي الرئيس. اعذرني إذا قلت إنه لا يفهم طبيعة عمل دنسكو. ولا أهدافها. يعطل العمل. ويزعج الموظفين. السيد المدير التنفيذي، أشكرك على تنبيهي. سوف ينقل فوراً. الأسبوع القادم. هل كان هناك رجلان يتكلمان؟ رجلان لهما هموم الناس العاديين. ومشاغل الناس العاديين وانفعالات الناس العاديين. لا! هناك مسرحية قصيرة. بطولة فخامة الرئيس والسيد المدير التنفيذي. مسرحية ناجحة. بدليل أنها تمثل كل يوم. إلى الأبد. أحياناً يتغيّر البطل الثاني. دولة رئيس الوزراء. معالي الوزير. سعادة المندوب المؤقت. أما السيد المدير التنفيذي فيمثّل في كل العروض. ماتينيه. وسواريه. لا يملّ الكلام نفسه. ولا الحركات نفسها. ولا التعيينات نفسها. صفقة رابحة. تعين موظفاً وتزيح مندوباً مؤقتاً. ويعدك الرئيس بزيادة مخصصات المدارس. جزء من المسرحية. هل يمكن أن يعشق الممثل حياته على المسرح وينسى حياته الأصلية؟ أن يدمن الحياة المسرحية. قولي يا سونيا! هل هذا بالإمكان؟ اسألي مرشح الفرنجة. الممثل الشهير. وماذا عن النساء؟ هل هن جزء من النص؟. تلك السمراء الخمرية في بلاد النهر. تلك الشقراء الوردية في بلاد الثلج. تلك السوداء الداكنة في بلاد الأعشاب. هل كانت كل واحدة منهن تمثّل؟ وهل كان هو يمثّل؟ مجرد عرض جانبي. بعد العرض الأصلي. هذا وبعد انتهاء العرض الأول الذي يمثل فيه فخامة الرئيس والسيد المدير التنفيذي. على مشهد من الناس. والكاميرات. والصحفيين.

سوف يقام عرض خاص. في جناح السيد المدير التنفيذي. ولا يسمح بدخول الجمهور. ويقوم بدور البطولة السيد المدير التنفيذي. وامرأة حسناء. مفاجأة. سوف يعلن عن اسمها فيما بعد. قد تكون ضمن حاشية السيد المدير التنفيذي. وقد تكون مضيفة. وقد تكون سائحة ساكنة في الفندق تحب الثقافة. وقد تكون. . وهل يستطيع، الآن، أن يخلع ثياب المسرح؟. يرمي النص. ويزيل آثار المكياج. هل يستطيع أن يعثر على حياته القديمة؟ التي كانت تسير بلا سيناريو مسبق. مفاجأة كل يوم. شيء جديد كل يوم. أمل جديد كل يوم. خيبة جديدة كل يوم. حب جديد كل يوم. يوم كان الكلام يجيء عفوياً. طازجاً. متدفقاً. سخيفاً. بلا معنى. وكان يضحك. آه! كم كان يضحك. يقهقه حتى تنزل الدموع. حتى ينطوي على نفسه. وكان يجوع. ويشعر بلذة لا تقل عن لذة الجنس حين يأكل السباجتي بلهفة ذئب صائم. يوم كانت همومه طبيعية. لا علاقة لها بهموم ألف مليون أميّ. ولا عذاب ألف مليون فقير. نفسي! نفسي! وأصدقائي! وحبيباتي! هل كان أنانياً وقتها؟ يوم كانت حياته تدور في مسارها الصغير. الجميل. أم أنه أصبح أنانياً الآن؟ يتخذ من الجائعين الأميين مُبرّراً للمصعد الخاص. والطائرات الخاصة. والأجنحة الفخمة. والنساء الجميلات. والسيوف المرصعة بالماس. هل يستطيع أن يحصل على عالم روحاني يستطيع أن يحضر روحه القديمة؟ الروح القديمة تواجه الروح الجديدة. عرض حقيقي هذه المرة. بطله السيد المدير التنفيذي حالياً. وبطله السيد المدير التنفيذي سابقاً. آه! كبرت كثيراً، يا روبيرتو. بدت التجاعيد تلتهم وجهك الوسيم. صدقت! صدقت! وأنت تبدو مثل متسول بهذه الثياب الرّثة. بهذا البنطلون المُرقّع. بدلتك أنت رائعة، يا روبيرتو. تبدو متألّقاً. وأنت تحمل هذا السيف الذهبي المتألّق. والأوسمة تتألق على صدرك. تتألق كنجم ساطع، يا روبيرتو. لا تسخر مني! رجاءً!

رجاءً! لا تسخر مني! هذه قطع معدنية أقبلها على مضض. لإرضاء الرؤساء الذين يقدمونها لي. على مضض. يا لتضحياتك، يا روبيرتو! تفعل كل شيء على مضض. تعمل ٢٠ ساعة في اليوم على مضض. وتزور ٥٠ دولة في السنة على مضض. وتلقي ١٠٠ خطاب في الأسبوع على مضض. وتنام مع كل امرأة جميلة تراها على مضض. وماذا عنك أنت؟ بأسمالك وبنطلونك المرقع. ألا تفعل شيئاً على مضض! في النادر. عادة، أنا أفعل ما يروق لي. أذهب إلى الجامعة أحياناً. وأشرب مع الأصدقاء حتى الصباح ثم أنام أحياناً. أهرب مع فتاة جميلة إلى روما، أحياناً. لا! لا! لا! لا بد أن أتحدث مع الوالد عنك. لا يجوز تركك هكذا. لا تضيع وقتك، يا روبيرتو. تعلمت البوهيمية من والدي. والذي مثلي. يذهب إلى العمل يوماً ويبقى في الحانة يومين. شيء عجيب! لماذا يقول هذا الفتى «والدي» ولا يقول «والدنا»؟ هل نسي روبيرتو أنني روبيرتو؟ وما هذه المسرحية العجيبة؟ هل كانت ثيابك رثة حقاً؟ وهل كنت تهمل الدراسة حقاً؟ وتسافر فجأة إلى روما، حقاً! هل تريد أن تعود إلى هذا الفتى الأرعن. . .
قطع عليه تأملاته صوت حفيده يجري نحوه وهو يلثغ باسمهما المشترك:

- بيرتو! بيرتو! بيرتو!

يضم حفيده، ويعانقه بحنان.

من بعيد، يجيء صوت أمّه العجوز:

- روبيرتو! الطعام جاهز.

يحمل حفيده، ويتجه إلى المنزل، وفي رأسه فكرة واحدة. لماذا أسلم مصيره لسونيا؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

الفصل السابع
سونيا

أغسطس ـ سبتمبر ١٩٩٩

وعدت سونيا ٩ مندوبين مؤقّتين من القارة العظمى بتعيينهم في الإدارة إذا أُعيد انتخاب المدير التنفيذي الحالي، وأقسمت على ذلك بشرفها.

❁ ❁ ❁

تأملت سونيا شقة رئيس مجلس الحكماء، التي تدخلها لأول مرة، بإعجاب، وقالت:

ـ مكان رائع! كنت أعتقد أن الحكماء يعيشون في صوامع.

ـ الحكماء لا يشتكون الفقر وإن كانوا لا يعيشون في الرفاهية التي ينعم بها كبار موظفي الإدارة.

ضحكت سونيا، وقالت:

ـ كنت أمزح. لا تأخذ الموضوع بجدّية. أشكرك على استقبالي.

ـ هل بوسعي أن أقدّم لك شيئاً؟

- قدحاً من الشمبانيا.

- بكل سرور.

عاد رئيس مجلس الحكماء بقدحين من الشمبانيا، وضع واحداً منهما أمام سونيا، وبدأ يرشف من الثاني وتساءل:

- القصة المعهودة؟!

- وهل هناك قصة أخرى؟

- سونيا! متى تريدين أن تفهمي أن مجلس الحكماء لن يمنح صديقك فترة ثالثة؟ ألا تعرفين معنى لن؟

- أعرف معنى لن، بدليل أني أعرف أن مجلس الحكماء لن يسمح بتدمير هذه الإدارة.

- ماذا تقصدين؟

- أي مرشح من المرشحين الستّة سوف يقضي على مستقبل الإدارة قضاءً مبرماً.

- هذا رأيك أنت.

- هذا رأي الجميع. ولا أدري ما هو رأي مجلس الحكماء.

- سوف يتخذ المجلس قراره في الموعد المُحدّد.

- هل سينتخب المجلس مُمَثّلاً موسوساً لا يتحدث إلا بلسان شكسبير، أم شاعراً مخبولاً يردد أشعار شاعر مخبول آخر، أم سياسياً مجنوناً...

- سونيا! آسف! لن أبحث معك المُرشّحين.

- حسناً! ابحث معي مستقبل الإدارة.

- قلت لك ألف مرة إن الإدارة في يد أمينة. سوف يتخذ مجلس الحكماء القرار الصائب.

- آه! كم أتمنى ذلك. لا يوجد سوى قرار صائب واحد.

- سونيا!

- حسناً! حسناً! لا بُدّ أن أذهب الآن. أشكرك، مرة أخرى، على استقبالي.

خرج رئيس مجلس الحكماء يودّع سونيا، وعند مدخل الشقة استدارت وقبّلته قبلة حارة، وقالت:

- هذه القبلة للتهنئة.

قال رئيس مجلس الحكماء بذهول:

- التهنئة؟ ماذا حدث؟

- أهنّئك على الصفقة التاريخية التي استطاعت شركة الخردة التي تملكها عقدها.

خرجت وأغلقت الباب خلفها، وتركت رئيس مجلس الحكماء يحاول السيطرة على الرعشة التي بدأت تتسلل من يديه إلى بقية أجزاء جسمه.

❀ ❀ ❀

وعدت سونيا ٧ مندوبين مؤقتين من القارة العذراء بتعيينهم في الإدارة إذا أعيد انتخاب المدير التنفيذي الحالي، وأقسمت على ذلك بشرفها.

❀ ❀ ❀

قلّب حكيم عربستان عينيه في الشقة الأنيقة التي تسكنها

سونيا، والتي يدخلها لأول مرّة، وقال:

ـ مكان رائع!

ضحكت سونيا، وقالت:

ـ لو كان مرشح عربستان هنا لنظم قصيدة في وصف الشقة.

ـ من حسن الحظ أنه ليس هنا.

ـ هل أفهم من هذا أنك تعارض مُرشّح قارتك؟

ـ إفهمي من هذا أني على الحياد التامّ. وولائي للعالم كله، لا لقارتي.

ـ بطبيعة الحال. ماذا تشرب؟

ـ «بيريه» إذا أمكن.

أحضرت سونيا له كأساً مليئاً بالبيريه، وأحضرت لنفسها قدحاً من الشمبانيا، وابتسمت، وقالت:

ـ أشكرك على حضورك. هذا لطف منك.

ـ يسرّني أن أكون هنا. الموضوع المعتاد؟!

ـ بطبيعة الحال.

ـ ألم أسمع كل شيء من قبل؟

ـ أريد أن تسمعه مرّة أخرى. موعد الانتخاب يقترب. وأنت تعرف أن البروفسور تشاينتي خدم قارة عربستان كما لم يخدمها مدير تنفيذي قبله. لن تجدوا بين المرشحين من يستطيع أن يعمل للقارة ما عمله هو.

ـ سونيا! أنت تعرفين التقاليد التي...

ـ تمنع مجلس الحكماء من مناقشة شؤون المجلس مع غير الأعضاء.

ـ تماماً.

ـ لا أودّ أن أناقش شؤون المجلس. أودّ أن أناقش شؤون عربستان. هل تودّ أن تُغلق الفروع التي فتحت في القارة؟ هل تريد أن تقفل المعاهد التي أقيمت؟ هل تقبل أن تنتهي الأولوية الممنوحة للقارة؟

ـ سونيا! سبق أن قلت لك...

ـ إنك تدافع عن مصلحة العالم وليس عن مصلحة قارتك.

حسناً! من مصلحة العالم كله أن يعاد انتخاب البروفسور تشاينتي.

ـ العالم لا يقف عند ذهاب أحد.

ـ رُبّما. ولكن الإدارة قد تقف. حقيقة الأمر، أن الإدارة قد تموت إذا انتخبتم واحداً من هؤلاء المُهرّجين.

ـ سونيا! سونيا!

ـ عفواً! أعني إذا انتخبتم واحداً من هؤلاء المُرشّحين المحترمين.

ـ الحياة تستمر، يا سونيا، بصديقك وبدونه.

ـ ألا تعدني، على الأقلّ، بالتفكير في الأمر؟

ـ في الفترة الثالثة؟

ـ نعم.

ـ لا أستطيع أن أعد. اتخذنا قراراً سنلتزم به. سوف يكون هناك مدير تنفيذي جديد. سونيا! متى ستقبلين هذه الحقيقة؟

ـ أخشى أن تندم إذا لم تستمع إليّ.

ـ سونيا! هل هذا تهديد؟

ـ لا يا عزيزي. هذا وعد.

استأذن، وذهبت تودعه، وقبل أن يغادر الشقة استوقفته وقبّلته قبلة طويلة على شفتيه، ثم قالت:

ـ هذه القبلة تهنئة خاصة لك على النبوغ المُبكّر الذي أبداه ابنك والذي قاد إلى أسرع ترقية في تاريخ البنوك.

فتح الحكيم فمه، ولكن سونيا دفعته إلى الخارج، وأغلقت الباب، وضحكت حتى كادت تشرق.

❁ ❁ ❁

وعدت سونيا ٣ مندوبين مؤقّتين من القارة الجنوبية بتعيينهم في الإدارة إذا أعيد انتخاب المدير التنفيذي الحالي، وأقسمت على ذلك بشرفها.

❁ ❁ ❁

دخلت سونيا مكتب حكيم قارة الروسلاند وقالت وهي تضحك:

ـ عزيزي الحكيم! كيف صداعك اليوم؟

نظر إليها الحكيم باشمئزاز لم يحاول إخفاءه، وقال:

ـ سونيا! أنت ثقيلة وأنا صاح، وأنت أثقل وأنا سكران.

- مشاعر متبادلة، يا عزيزي الحكيم.

- ماذا تريدين؟ أنا مشغول الآن.

- أنت تعرف ما أريد.

- التمديد لعشيقك؟

- أرجو أن تستخدم ألفاظاً مُهذّبة. أم تريد مني أن أرسل صورة عشيقتك القذرة لزوجتك الأقذر؟

قالت هذا ووضعت أمامه صورة فوتغرافية تأمّلها مشدوهاً، ثم قال:

- أيّتها...

- عزيزي الحكيم! سيطر على أعصابك. وكن رجلاً لطيفاً وإلا اختفت الملايين التي دخلت حسابك، فجأة، كما دخلت، فجأة.

بدأ الحكيم يسعل، وغادرت سونيا المكتب وهي تبتسم.

❁ ❁ ❁

وعدت سونيا ٤ مندوبين مؤقتين من قارة عربستان بتعيينهم في الإدارة إذا أعيد انتخاب المدير التنفيذي الحالي، وأقسمت على ذلك بشرفها.

❁ ❁ ❁

في السفينة التي تمخر عباب السين والتي يسميها الفرنسيون «سفينة الذباب» كانت سونيا تقف بالقرب من الحافة منهمكة في حديث طويل مع حكيم قارة الفرنجة.

تحدّثا عن آخر الكتب. وآخر المسرحيات. ومكتبة ميتران وتصميمها العجيب. ومشاكل الهويّة. والأقليّات. وهوايات الحكيم. وهواياتها.

في نهاية الجولة التي دامت ٣ ساعات، التفتت سونيا إلى الحكيم، وقبّلته على وجنته، وقالت:

ـ أشكرك على الدعوة. كانت جولة ممتعة. بالمناسبة، يقال إن أسعار الأسهم مرتفعة جداً هذه الأيام. من سوء الحظ، أنا لا أملك أسهماً.

إنطلقتْ سونيا تجري على الرصيف، وظل الحكيم في مكانه صامتاً.

❀ ❀ ❀

في المطعم الفخم، كان حكيم القارة الجنوبية يحاول أن يبدأ وصلة غزل بين قدمه وقدم سونيا، أو، على الأصح، بين حذائه وحذاء سونيا، مستفيداً من الأضواء الخافتة. كانت سونيا تتابع مجهوداته بكثير من المتعة، وتلعب معه لعبة القط والفأر. تشجّعه، حتى إذا ما تشجّع اختفى قدمها نهائياً. عندما يفقد الأمل يعود قدمها ليتحرّش بقدمه. كانت هذه اللعبة تدور، بصمت، تحت الطاولة، أما الحديث الدائر على الطاولة فكان في منتهى الجدّية. كان الحكيم يقول:

ـ سونيا! أنت امرأة ذات ذكاء نادر. لم أر قبلك إنساناً لديه كل هذا الكم الهائل من المعلومات عن الإنكا.

ـ التجربة، يا عزيزي الحكيم، التجربة. لا تنسَ أني زرت المواقع مرات عديدة مع رئيسي.

ـ آه! رئيسك! الآن أدركت الهدف من الدعوة.

ركلته ركلة غير موجعة، وقالت:

ـ أيها الحكيم الوسيم! الهدف من الدعوة هو جعلك أخيراً

تستسلم لسحري الذي ظللت تقاومه كل هذه المدة.

إبتسم الحكيم، بخبث، وقال:

ـ أستسلم لك وتستسلمين لي؟

ضحكت سونيا، وقالت:

ـ لم أتعهّد بذلك.

ـ ما تقصدينه هو أنك تريدين أن أستسلم لسحرك وأدافع عن قضية صديقك...

ـ هذا ما أتوقّعه من أصدقائي.

في هذه الأثناء، كان قدم سونيا الذي تخلّى ببراعة عن الحذاء، يعبر حذاء الحكيم ثم يرتفع ويتسلق الجورب حتى يصل إلى الشعيرات، ويحسّ الحكيم برعشة تلف كيانه كله. يحاول أن ينسى ما يدور في الظلام، ويقول:

ـ سونيا! أنت تعرفين الموقف. تعرفين القرار.

بدون مقدمات عاد قدم سونيا إلى الحذاء وإلى مكانه الطبيعي بعيداً عن قدم الحكيم. قالت:

ـ أعرف الموقف. وأعرف أن مجلس الحكماء يستطيع تغيير القرار.

ـ سونيا! أنت تعرفين أني لا أستطيع أن أناقش...

ـ حسناً! دعنا من أسرار مجلس الحكماء. ولنتحدث عن كوخك الجبلي الرائع الذي تحول، مؤخّراً، إلى منتجع.

غصّ الحكيم باللقمة، وشرب كأس الماء، وقال بصعوبة:

ـ سونيا! من الأفضل أن نتحدث عن حضارة الإنكا.

❁ ❁ ❁

إختارت سونيا للاجتماع مع حكيم القارة العذراء مقهى صغيراً يعجّ بالطلبة والطالبات. كانت سونيا تدرك أن الاجتماع بالحكيم في شقتها أو شقته مغامرة غير مأمونة العواقب. أرادت أن تضمن أكبر قدر ممكن من العلانية والسلامة. إلتهم الحكيم قطعة الجاتوه، وقال:

ـ سونيا! لماذا نتقابل في أمكنة كهذه؟ كنت أرتاد هذا المقهى يوم كنت طالباً. لم يعد المكان لائقاً بي.

ـ هل تغيّر كثيراً!

ـ لم يتغيّر على الإطلاق. أنا الذي تغيّرت.

ـ أحياناً، أنسى أنك فيلسوف.

ـ أنا أقضي نصف وقتي في قراءة كتب الفلسفة، والنصف الثاني في محاولة نسيانها.

ـ أمّا هذه الأيام فأنت مشغول بمعركة الانتخابات.

ـ بطبيعة الحال. الجميع مشغولون.

ـ كم عدد الذين حاولوا الضغط عليك؟

ـ لا يُعدّون ولا يُحصون.

ـ وهل نجحوا؟

ضحك الحكيم، وطلب قطعة ثانية من الجاتوه، وقال كمن اكتشف، لتوّه، سراً مذهلاً:

ـ سونيا! أنت امرأة جميلة. هل تعرفين ذلك؟

- سمعت هذا الكلام من قبل. وسمعته، مؤخراً، من المُرشّح الشاعر.

- سونيا! لو كنت شاعراً لكتبت...

- لا أريد شعرك. أريد صوتك.

- سونيا! أنت تعرفين...

- عزيزي الحكيم! أنا أعرف أكثر مما تتصوّر. أعرف أن ديونك سُدّدتْ بطريقة سحرية. هل تؤمن بالسحر؟

ضحكت سونيا، وخرجت تاركة الحكيم يحملق في قطعة الجاتوه التي وضعتها الجرسونة أمامه، يحملق فيها بعد أن فقد شهيته تماماً.

❀ ❀ ❀

تأمّل حكيم القارة العظمى بإعجاب لوحة بيكاسو الصغيرة التي تزيّن مدخل البهو في شقة سونيا، وقال:

- أصلية؟

ضحكت سونيا، وقالت:

- سيدي الحكيم! أنا موظفة. من أين لي القدرة على شراء لوحة أصلية لبيكاسو؟

- تبدو أصلية.

- كثيراً ما تكون المظاهر خادعة. ماذا تريد أن تشرب؟ ويسكي بالسودا، كالعادة؟

- كالعادة.

أحضرت سونيا قدحاً ممتلئاً بالسائل البني الغامق وجلست أمام الحكيم وقدح الشمبانيا في يدها، وقالت:

ـ ما هي أخبار الانتخاب؟

ـ سونيا! أنت تعرفين أني لا أستطيع...

ـ حسناً! حسناً! لا تتكلم. استمع. إذا أراد مجلس الحكماء مصلحة الإدارة فليس هناك سوى قرار واحد.

ـ إعطاء ولاية ثالثة لصديقك؟

ـ صديق الجميع، صديق العالم، صديق القارات كلها، الرجل الذي ضحّى براحته وبصحته في سبيل...

ـ سونيا! أعفيني من المحاضرة. أنت تعرفين الجواب.

ـ عزيزي الحكيم! لا تتسرع. مع السرعة قد يجيء الندم.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ أقصد أن صفقة العمولات التي عقدها زوج ابنتك قد تختفي بسرعة.

نظر إليها الحكيم بذهول، وشرب ما في كأسه دفعة واحدة، وخرج من الشقة بلا استئذان.

الفصل الثامن

المقابلات

سبتمبر ١٩٩٩

حُدّدت مواعيد المقابلات بالقُرعة، وشاءت القرعة أن يكون الممثل، مرشح قارة الفرنجة، أول الداخلين. طلب إليه الرئيس أن يجلس على المقعد المريح المُخصّص له، والذي يجلس عليه عادة المدير التنفيذي خلال دورات المجلس، وقال له:

ـ تفضل! بوسعك أن تقول للمجلس ما تشاء.

وقف المُرشّح، وواجه الحكماء، وبدأ:

ـ «العالم، بأسره، مسرح.

وكل الرجال والنساء ممثلون لا غير.

يدخلون المسرح في أوقات محدّدة ويخرجون منه في أوقات محددة.

وكل رجل يلعب في زمانه عدة أدوار.

تمثل سبعة أعمار.

في البداية: الطفل يبكي ويتقيّأ على ذراع مُربّيته.

ثم طالب المدرسة: كثير التذمّر،

بحقيبة كتبه ووجهه اللامع في الصباح،

يزحف، كالقوقعة، إلى المدرسة دون أي رغبة.

ثم العاشق: يتنهد كالفرن بأغنية حزينة عن أهداب حبيبته.

ثم الجندي: يخطر ماشياً بالشتائم الغريبة،

مطلقاً لحية كلحية النمر، تراه غيوراً على العرض،

سريعاً إلى العراك، يطلب فقاعة الشهرة،

حتى في فم المدفع.

ثم القاضي: ببطنه الجميل المستدير، المُغطّى بالقماش الفاخر. بعيونه القاسية، ولحيته الرسمية، يردد الأقوال الحكيمة، والمواقف الأخلاقية. هكذا يلعب دوره.

أمّا العمر السادس فيرتدي سراويل ضيّقة مُرقّطة، النظارات على عينيه، والجيوب الدهنية تحتها...

ضمرت ساقه، وضمر صوته الرجولي، وعاد إلى غناء الأطفال وضجيجهم، يصفّر عندما يتكلّم.

أما المشهد الأخير،

الذي ينهي هذا التاريخ الحافل،

فطفولة جديدة،

تسير إلى النسيان،

بدون أسنان،

بدون عيون،

بدون طعم،

بدون شيء!»

ضج المجلس بالتصفيق، وانحنى المرشح شاكراً قبل أن يجلس.

قال الرئيس:

ـ هل تود أن تضيف شيئاً قبل البدء في الأسئلة؟

وقف المرشح، ثانية، وواجه الحكماء، وبدأ:

ـ «أيها الأصدقاء، أيها الرومان، يا أبناء الوطن!

أعيروني أسماعكم!

إنني أجيء لأدفن قيصر، لا لأطريه.

ما يفعله الرجال من شر يبقى بعد أن يذهب الرجال،

وما يفعلونه من خير يدفن مع عظامهم،

وهذا هو الشأن مع قيصر.

بروتوس النبيل أخبركم أن قيصر كان طموحاً،

إذا صحَّ هذا، فقد ارتكب خطأً عظيماً،

ودفع ثمناً عظيماً.

وهنا ـ أستأذن بروتوس والبقية

بروتوس رجل شريف، وكذلك الآخرون ـ

أستأذنهم في الكلام في جنازة قيصر»

ضجّ المجلس بالتصفيق، وانحنى المُرشّح، وجلس.

قال رئيس مجلس الحكماء:

ـ أحسنت! أحسنت! والآن جاء دور الأسئلة. نبدأ بحكيم القارة العذراء.

تنحنح الحكيم، وقال:

ـ السيد المرشّح! هل لك أن تحدّثنا بالتفصيل عن برنامجك لدنسكو؟

ـ «الرجال ذوو الكلمات القليلة

هم أفضل الرجال»

ـ هذه حكمة ثمينة، السيد المُرشّح، خصوصاً في هذا المكان الموبوء بالثرثرة. هل لك، إذن، أن تحدّثنا، باختصار، عن برنامجك لدنسكو؟

ـ «آه!

كم أتمنّى لو جعلتك الآلهة شاعريّاً»

ضجّ الحكماء بالضحك، والتفت الرئيس إلى حكيم القارة العظمى الذي نظر إلى المرشح، وقال:

ـ السيد المُرشّح! ما هي في رأيك مشكلة دنسكو الأساسية التي تحتاج إلى علاج؟

ـ «إنها مثل مقعد الحلاّق

أُعدّت على قياس كلّ مؤخّرة».

ساد الضحك، واستطرد الحكيم:

ـ السيد المرشّح! ما هي تصوراتك للفترة القادمة في تاريخ دنسكو؟

ـ «هكذا، من ساعة إلى ساعة،

نحن ننضج وننضج،

وبعد ذلك، من ساعة إلى ساعة،

نحن نتعفّن ونتعفّن».

ساد صمت قصير قطعه الرئيس:

ـ السيد، حكيم قارة الفرنجة.

نظر الحكيم إلى المرشح، وابتسم وقال:

ـ ما هي في رأيك إيجابيات دنسكو وما هي سلبياتها؟

ـ «لا يوجد شيء جيّد وشيء رديء

فكرنا هو الذي يقرّر ذلك»

ـ ألا يستهويك نشاط معين من أنشطة دنسكو؟

ـ «أنا لست مجبراً على أن أدخل السرور عليك بإجابتي».

جاء دور حكيم قارة عربستان، الذي سأل المرشح:

ـ ما هي التحديات التي يجب على دنسكو أن تهيئ نفسها لها؟

ـ «هناك أحداث كثيرة في رحم الزمان سوف تولد»

ما هي هذه الأشياء؟

ـ «تأكّد من شيء واحد

هذه الليلة سوف تصاب بتقلصات»

ضحك الحكماء، وجاء دور حكيم القارة الجنوبية الذي سأل المرشح:

- هل بالإمكان أن تخبرنا لماذا رشحت نفسك؟

- «الشقاء

يدفع الرجل

إلى النوم في سرير واحد

مع شركاء غريبين».

- هل تنوي إدخال إصلاحات معينة في حالة فوزك؟

- «هذا يوشك أن يكون

ثناءً من نفسي على نفسي».

جاء دور حكيم الروسلاند الذي سأل:

- السيد المرشح! ما هي في نظرك الصفات التي يجب توفرها في المدير التنفيذي لدنسكو؟

- «من يستطيع أن يكون حكيماً، ومشدوهاً،

وعاقلاً، وغاضباً، ووفياً، ومحايداً،

في اللحظة نفسها؟

لا أحد»

إبتسم الحكيم وقال:

- هل تود توجيه كلمة أخيرة للمجلس؟

ـ «يوم القيامة يدنو

موتوا جميعاً!

موتوا فرحين!»

❀ ❀ ❀

دخل مرشح القارة الجنوبية واتجه، فوراً، إلى المقعد المُخصص له، وقبل أن يكلمه الرئيس، بدأ هو يصرخ:

ـ ما هذه المهزلة؟ ما هذه المهزلة؟ يبدأ ممّثل قبلي؟! ما هذه الفوضى! ممثل يسبق رئيس جمهورية! لا بد أن أسجّل احتجاجي رسمياً. رسمياً!

قال رئيس المجلس، بأدب:

ـ السيد المُرشّح! حُدّدتْ المواعيد بالقرعة.

ـ على القرعة اللعنة! كان ينبغي أن تُحدّد حسب أهمية المُرشّحين. حقيقة الأمر، كان المفروض أن أُعفى من الحضور تقديراً لوضعي الخاص.

قال الرئيس:

ـ السيد المُرشّح! أرجو أن تبدأ بإعطائنا فكرة عن برنامجك المقترح.

ـ أول شيء أنوي عمله هو أن أهدم هذا المبنى القبيح حجراً حجراً. وأعيد بناءه من جديد. لم أر في حياتي أقبح من هذا المبنى.

إبتسم الرئيس، وقال:

ـ حسناً! هذا عن المبنى، ماذا عن الأنشطة التي تدور داخل المبنى؟

ـ مثل ماذا؟

ـ مثل الحفاظ على الآثار مثلاً.

ـ لا تحتاج الآثار إلى من يحافظ عليها. بقيت آلاف السنين محافظة على نفسها. يجب أن ندعها وشأنها. لا أرى مبرراً لإرسال موظفين كل ما يفعلونه هو التأكد من أنها لا تزال موجودة في مكانها.

إبتسم الرئيس، وقال:

ـ ماذا عن الحفاظ على الطبيعة؟

ـ الطبيعة يجب أن تُقهر وتُذلّل وتُسخّر لخدمة الإنسان.

ـ والاجتماع؟

ـ لا يحتاج أي مجتمع إلى شيء سوى رئيس قويّ حازم.

ـ وماذا عن المعرفة؟

ـ المعرفة ستجيء تلقائياً مع مجيء الرئيس القويّ الحازم.

ـ والتنظيم؟

ـ لا تنظيم بدون زعيم قوي. ولا زعيم قوي بدون تنظيم.

نظر الرئيس إلى حكيم القارة الجنوبية الذي قال:

ـ السيد المرشّح! اسمح لي أن أبدي استغرابي. ما قلته الآن يتعارض تماماً مع أهداف دنسكو. هل كنت تعني ما تقول؟

ـ لم أكن أمزح.

ـ أليس من الأفضل، إذن، أن تُقفَل الإدارة؟

- هذا هو الخيار المثالي ولكني فهمت، للأسف، أنه خيار غير مقبول في الوقت الحاضر.

جاء دور حكيم عربستان الذي سأل المُرشّح:

- ما هو في رأيك التحدي الأكبر الذي سيواجه دنسكو في الألفية القادمة؟

- بناء المبنى الجديد.

- السيد المرشح! هل درست الهيكل الإداري لدنسكو؟

- كنت أرأس جهازاً من مئات الآلاف. من الملايين. أنا لا أحتاج إلى هياكل إدارية. أستطيع تسيير هذه الإدارة الصغيرة بإصبعي الصغير.

ساد صمت عميق تبادل الحكماء أثناءه النظرات، ثم تكلّم حكيم قارة الفرنجة:

- كيف ترى العلاقة بين المدير التنفيذي ومجلس الحكماء؟

- واضحة جداً. أنا أصدر الأوامر وأنتم تطيعون.

- الميثاق يقول عكس ذلك تماماً.

- سوف نترك الميثاق القديم في المبنى القديم حيث سيتهدم مع المبنى، ونعدّ ميثاقاً جديداً للمبنى الجديد.

جاء دور حكيم القارة العظمى الذي سأل المرشح:

- ما رأيك في برنامج معرفة السلام؟

- الدول المحبة للسلام! أنصار السلام! أصدقاء السلام! هذه شعارات ماركسية ماتت وانتهت ويجب أن تُدفن.

- السيد المرشح! معرفة السلام أمر مختلف تماماً.

- كل شيء ينتهي بكلمة سلام لا بُدّ أن يكون من مخلّفات الفكر الماركسي البائد.

ساد الصمت مرة أخرى، ثم تكلّم حكيم الروسلاند:

- السيد المرشح! ما دامت هذه هي مواقفك، هل لي أن أسألك لماذا رشحت نفسك؟

- لأقضي وقت الفراغ بين رئاستي الأولى ورئاستي الثانية.

- وخلال هذه الفترة الانتقالية ألا توجد لديك أي مخططات لدنسكو؟

- شيء عجيب! هل أنا بحاجة إلى تكرار ما أقوله ألف مرة؟

برنامجي هو هدم المبنى القبيح وبناء مبنى جديد جميل.

جاء دور حكيم القارة العذراء الذي قال:

- السيد المُرشّح! نحن جميعاً نقدّر خبرتك الحكومية الواسعة، ولكن ألا ترى أن قيادة إدارة دولية أمر يختلف عن قيادة دولة؟

- الذي يستطيع إدارة دولة يستطيع إدارة أيّ شيء.

- ألا ترى أن كثرة الأعضاء، وجميعهم دول، يجعل من قيادة دنسكو فنّاً يحتاج إلى مهارات دبلوماسية وفكرية معينة؟

- لديّ كل المهارات الدبلوماسية والفكرية المطلوبة. وبالإضافة إلى ذلك فأنا صياد ماهر، وأجيد ركوب الخيل، كما أني بطل من أبطال قيادة السيارات السريعة.



دخل مُرشّح قارة عربستان، الشاعر، ورحب به رئيس الحكماء، ودعاه إلى الجلوس، ثم قال:

ـ السيد المرشح! أعطيك الكلمة الآن.

وقف المرشح وواجه الحكماء، وأنشد بصوت عال:

عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنت كريمٌ ∴ بين طعن القنا وخفق البنودِ

فرؤوس الرماح أذهب للغيظ وأشفى لغلّ صدر الحسودِ

لا كما قد حييت غير حميدٍ ∴ وإذا مُتَّ مُتَّ غير فقيدِ

فاطلب العز في لظىً.. ودع الذُلّ ولو كان في جنان الخلودِ

يُقتلُ العاجز الجبان وقد يعجز عن قطع بخنق المولودِ

ويُوقى الفتى المِخشُ وقد خوَّض في ماء لَبّة الصنديدِ

لا بقومي شرفتُ بل شرفوا بي وبنفسي فخرتُ لا بجدودي

وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريدِ

أن أكن مُعجباً فعُجبُ عجيبٍ لم يجد فوق نفسه من مزيدِ

أنا ترب الندى وربّ القوافي وسمام العِدى وغيظ الحسود

أنا في أمّةٍ، تداركها الله، غريبٌ كصالح في ثمودِ

ضجت القاعة بالتصفيق، وابتسم الشاعر، وعاد إلى مقعده قال رئيس مجلس الحكماء:

ـ هل تود إضافة شيء آخر؟

وقف الشاعر وواجه الحكماء، وأنشد:

ـ أنا ابن اللقاء، أنا ابن السخاء ∴ أنا ابن الضرابِ، أنا ابن الطِعانِ

أنا ابن الفيافي، أنا ابن القوافي ∴ أنا ابن السروج، أنا ابن الرِعانِ

طويل النجاد، طويل العماد ∴ طويل القناة، طويل السِنانِ
حديد اللحاظ، حديد الحِفاظ ∴ حديد الحسامِ، حديد الجنانِ
يسابق سيفي منايا العباد ∴ إليهم.. كأنهما في رهانِ
يرى حدّه غامضات القلوب ∴ إذا كنتُ في هبوةٍ لا أراني
سأجعله حكماً في النفوس ∴ ولو ناب عنه لساني كفاني

ضجت القاعة بالتصفيق، وجلس المرشح، ونظر إلى رئيس الحكماء الذي قال:

- أحسنت! أحسنت! نبدأ بحكيم قارة الفرنجة.

تردد الحكيم قليلاً، ثم قال:

- السيد المُرشح! ألا ترى أن الإدارة تحتاج إلى مواهب من نوع يختلف عن المواهب الشعرية؟

- أمط عنك تشبيهي بما وكأنّه ∴ فما أحدٌ فوقي.. ولا أحدٌ قبلي

- أتحدث عن خبرة لا بد منها...

قاطعه المُرشّح:

- كأني دحوتُ الأرض من خبرتي بها ∴ كأنّي بنى الإسكندر السَّد من عزمي

نظر الرئيس إلى حكيم القارة العظمى الذي قال:

- السيد المرشح! كان الزميل الحكيم يحاول أن يعرف لماذا رشحت نفسك.

- لتعلم مصر ومن بالعراق ∴ ومن بالعواصم أني الفتى
وأني وفيت وأني أبيتُ ∴ وأني عتوتُ على من عتا
وما كلّ من قال قولاً وفى ∴ وما كلّ من سيم خسفاً.. أبى

- أرجو، في حالة نجاحك، ألا تكون متحيّزاً لعربستان دون غيرها.

أُحـبّ حمـصـاً إلى خـنـاصـرةٍ ∴ وكـل نـفـسٍ تحـبُّ مَـحْـيـاهـا
حيـث الـتـقـى خـدّهـا وتـفـاحُ لـبـنـان وثـغـري عـلى حُمَيّـاهـا

جاء دور حكيم القارة العذراء الذي سأل:

- ما هي خطتك فيما يتعلق بالآثار؟

- بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها ∴ وقوف بخيلٍ ضاع في التُرب خاتمه

- وماذا عن المعرفة؟

- حتى رجعت وأقلامي قوائل لي ∴ «المجد للسيف. . ليس المجد للقلم»

نظر الرئيس إلى حكيم قارة الروسلاند الذي قال:

- هل لديك أي برامج إصلاحية؟

- من الحلم أن تستعمل الجهل دونه ∴ إذا اتسعت في الحُلْم طرق المظالمِ

- ما هو أفضل أسلوب في رأيك لتحقيق الإصلاح؟

- أعلى الممالك ما يُبنى على الأسلِ ∴ والطعن عند محبيهنّ كالقُبُلِ

جاء دور حكيم عربستان الذي ابتسم وسأل:

- السيد المُرشح! ما هو الحلم الذي تود تحقيقه لو فزت بالمنصب؟

- لمن تـطـلـب الـدنـيـا إذا لم تـرد بهـا ∴ سـرور مُحـبّ أو مـسـاءة مُجـرمِ؟

- بصراحة، هل تعتقد أن الإدارة هي المكان المناسب لك؟

- وكلُّ مكانٍ ينبتُ العِزّ طيب ⁖ وكلُّ امرىءٍ يولي الجميل مُحبّبُ

جاء دور حكيم القارة الجنوبية الذي سأل:

- السيد المرشح! الاجتماع نشاط من أهم أنشطة دنسكو.

هل لديك أفكار محددة عن الاجتماع؟

حسن الحضارة مجلوب بتطريةٍ ⁖ وفي البداوة حسنٌ غير مجلوبِ

- في حال فوزك، ما هو أول شيء ستقوله لزملائك في الإدارة؟

ولم أر في عيوب الناس شيئاً ⁖ كنقص القادرين على التمامِ

❀ ❀ ❀

بعد خروج الشاعر، دخل مرشح القارة العذراء الذي انحنى للحكماء، واستمع إلى ترحيب الرئيس ثم قال:

- السادة حكماء العالم! سوف أراعي الناحية الميثودولوجية وأستعرض أنشطة الإدارة واحداً واحداً. أولاً، الآثار. أرجو أن يعرف حكماء العالم أني كنت المسؤول عن ترميم تاج محل حين أوشك على الانهيار، وتقديراً لجهودي حصلت على الدكتوراة الفخرية من جامعة شاه جهان. ثانياً، الطبيعة. أودّ أن يعرف حكماء العالم أني كنت المسؤول عن حماية الشعب المرجانية التي أوشكت على الموت في البحر الأحمر، وتقديراً لجهودي في هذا المضمار حصلت على الدكتوراه الفخرية من جامعة الغردقة. ثالثاً، الاجتماع. بعد أن درّست الاجتماع في الجامعة قضيت ٦ سنوات أستاذاً زائراً في ٦ جامعات حصلت منها جميعاً على شهادات دكتوراه فخرية. رابعاً، المعرفة. أحب أن أقول لحكماء العالم إني كنت وراء فكرة «مدرسة في كل بيت» التي انتشرت في أماكن عديدة من كل قارة، وحصلت تقديراً لهذه الجهود على

الدكتوراه الفخرية من جامعة استوكهلم. خامساً، التنظيم. بكل تواضع أقول لحكماء العالم إني كنت العضو المؤسس في أكثر من ٧٢١ جمعية غير حكومية تعنى بكل المجالات الداخلة ضمن اختصاص دنسكو، وقد حصلت نتيجة هذه الجهود على الدكتوراه الفخرية من جامعة أمستردام.

تبادل الحكماء النظرات في صمت، وقال الرئيس:

- هذا سجل مشرّف، السيد المُرشّح. مُشرّف جداً! هل يمكنك، الآن، أن تطرح علينا برنامجك المقترح لتطوير دنسكو؟

- السيد الرئيس! السادة حكماء العالم! يسعدني أن أطرح عليكم تصوري الموضوعي العلمي ولكني أستأذنكم في أن أبدأ بتلاوة التزكيات التي حصلت عليها من ١٩٧ شخصية حائزة على جائزة نوبل...

قاطعه الرئيس، بأدب:

- السيد المرشح! الوقت محدود. أرجو أن تبدأ بالحديث، مباشرة، عن برنامجك.

- حسناً! أنتم تعرفون، سادتي حكماء العالم، أن الفقر هو المشكلة الكبرى التي تهدد مستقبل البشرية. واسمحوا لي أن أسرد بعض الإحصائيات. ٨٦٪ من ثروة العالم تذهب إلى ٢٠٪ من سكان العالم، شريحة الأغنياء، و١٣٪ من ثروة العالم تذهب إلى ٦٠٪، شريحة متوسطي الدخل، أما أكثر الناس فقراً وهم ٢٠٪ من سكان العالم فلا يحصلون إلا على ١٪ من ثروة العالم. وما هو أدهى من هذا وأمرّ، سادتي حكماء العالم، أن ٣ أشخاص، ٣ أشخاص فقط، يمتلكون من المال ما يزيد على دخل الدول الأقل نمواً مجتمعة. ويبلغ...

قال الرئيس بأدب:

ـ السيد المرشح! السادة الحكماء يحفظون هذه الإحصائيات عن ظهر قلب. السؤال المهم هو: ماذا تنوي عمله لحل مشكلة الفقر؟

ـ سؤال وجيه، سيدي رئيس حكماء العالم. أنوي أن أكرر ما فعلته في القارة العظمى. فتحت هناك بنكاً سميته «بنك الفقراء» يعطي كل متقدم قرضاً صغيراً في حدود ٩,١ دولارات وقد استطاع ٣٠٪ من المقترضين أن يسددوا المبلغ خلال سنتين بينما تمكن ٢١٪...

قاطعه الرئيس:

ـ بنوك الفقراء فكرة رائدة بدأها البروفسور يونس حين أنشأ بنك «جرامين» في بنجلادش. الزملاء ملمون تماماً بالفكرة وكل أبعادها، بما في ذلك الإحصائيات.

ـ هذا شيء يثلج الصدر، سيدي رئيس حكماء العالم. يثلج الصدر حقاً أن يجد المرء أناساً مثقفين في عالم تبلغ نسبة الأمية فيه ٣١٪ من...

قاطعه الرئيس:

ـ أعطي الكلمة لحكيم قارة الفرنجة.

قال الحكيم:

ـ السيد المُرشّح! ما هي، في تصوّرك، الأولوية الرئيسية التي يجب أن تركّز عليها دنسكو في القرن القادم؟

ـ سؤال عميق جداً، سيدي الحكيم. الأنترنت! بدون شك أو ريب: في الوقت الحاضر نجد أن ٩٤٪ من مستخدمي الأنترنت ينتمون إلى شريحة الأغنياء التي لا تتجاوز ٢٠٪ من سكان العالم، أما الفقراء، وعددهم ٢٠٪ من سكان العالم، فنجد أن نسبة مستخدمي

الأنترنت بينهم لا تتجاوز ١٪، أكرر ١٪ فقط.

قال الحكيم:

- وضع مؤسف! ماذا تنوي أن تفعل لتغييره؟

- أنوي أن أطارد بيل جيتز في كل مكان، وأتوسّل إليه على الملأ، وأصرخ وأبكي، وأمزق ثيابي، ولا أتركه حتى يوافق على إعطاء كل فقير جهاز كومبيوتر مجاناً.

تبادل الحكماء النظرات بصمت، وقال الرئيس:

- الكلمة، الآن، لحكيم القارة العظمى.

قال الحكيم:

- السيد المُرشّح! هل تعتقد أن جهاز الإدارة في حاجة إلى إصلاحات؟

- سيدي الحكيم! ثبت، إحصائياً، أن ٢٥٪ من موظفي الإدارة تجاوزوا سن التقاعد بسنوات، وأن ٢٣٪ عينوا لأسباب سياسية لا علاقة لها بالكفاءة، وأن ١٧٪ مجمدون في وظائفهم منذ أكثر...

قاطعه الحكيم:

- وماذا تنوي أن تقوم به لتغيير هذه الأوضاع؟

- ثبت، إحصائياً، سادتي حكماء العالم، في المنظمات التي تعرضت لمذابح إدارية أن ٦١٪ منها ساءت أحوالها بينما لم يتحسن الأداء إلا في ١١٪ منها وبقيت...

قاطعه الحكيم مرة ثانية:

- وماذا تنوي أن تفعل أنت؟

- أفضّل سياسة النفس الطويل. أفضّل أن أنتظر حتى يموت كبار السنّ وعندما يموت أحد من هؤلاء المسنين. أعيّن طفلاً مكانه. ثبت، علمياً، أن مخ الطفل لا يقل عن مخّ الشمبانزي إلا بأقل من ١٪.

جاء دور حكيم قارة عربستان الذي نظر إلى المرشح وقال:

- السيّد المرشح! ألا ترى أنك تبسّط الأشياء أكثر من اللازم؟

- سيدي الرئيس الحكيم! اسمح لي أن أختلف معك. أنا لا أكره شيئاً قدر كرهي للتبسيط. أنا من هواة التعقيد، سادتي حكماء العالم، وقد حصلت على دكتوراه فخرية من جامعة...

قاطعه الحكيم:

- ما هي أولوياتك خلال الشهر الأول من ولايتك؟

- سوف أبدأ، على الفور، في مطاردة بيل جيتز. حقيقة الأمر، أني بدأت في رصد تحركاته منذ أن قررت خوض هذه المعركة. هناك الآن قرابة ٣٠٠٠ متطوع يراقبون حركاته، يبلغ عدد الجامعيين منهم ٥١٪ وعدد النساء....

تدخل رئيس المجلس:

- الكلمة الآن لحكيم قارّة الروسلاند.

قال الحكيم:

- السيد المرشح! من الواضح جداً أن لديك قدراً كبيراً من الثقافة والإلمام بالإحصائيات المتنوعة، ولكن ألا ترى أن قيادة دنسكو تحتاج إلى مواهب إدارية؟

- سيدي الرئيس الحكيم! لقد أدرت لجنة لتطوير الزراعة في

العالم مكونة من ٦ ملايين خبير زراعي. كما أني أدرت مصلحة للإحصائيات عدد موظفيها ٧٥,٢٢٤ بين رجل وامرأة وطفل وشمبانزي. كما أنني حصلت على الدكتوراه الفخرية في الإدارة العامة من جامعة...

قاطعه الحكيم:

- هذه إدارة دولية، السيد المرشح. ولا بُدّ في من يتولى قيادتها أن يكون له إلمام كبير بالدبلوماسية وفن التفاوض والقدرة على إيجاد حلول وسط وهذا...

قاطعه المرشح:

- أحسنت، سيدي الرئيس الحكيم، أحسنت. ثبت، إحصائياً، أن ٧٣٪ من القرارات الحكيمة التي اتخذت عبر التاريخ كانت عبارة عن حلول وسط، كما ثبت تاريخياً أن ٧٪ من القرارات التي...

تدخل رئيس مجلس الحكماء:

- السيد المرشح! اعذرني! الوقت محدود. أعطي الكلمة الآن لحكيم القارة الجنوبية.

قال الحكيم:

- السيد المرشح؟ ما رأيك في أداء لجنة حماية الآثار؟

- سيدي الرئيس الحكيم! بكل تواضع أقول إني عملت مستشاراً لهذه اللجنة عبر ١١ سنة متواصلة وأستطيع القول إن ٣٣٪ من القرارات التي اتخذتها اللجنة خلال هذه الفترة كانت مبنية على دراسات قمتُ بها، و٥٢٪ من القرارات...

قاطعه الحكيم:

- شكراً! هل هناك ناحية معينة، غير الأنترنت، ترى أنها تستحق الأولوية في اهتمامات دنسكو؟

- بكل تأكيد. الإسهال.

- عفواً؟!

- الإسهال. أرجو، سادتي حكماء العلماء، ألا تستخفّوا بمشكلة الإسهال. يموت كل سنة ٥ ملايين شخص من الإسهال مقارنة بـ ٣ ملايين فقط يموتون بسبب التلوّث.

قال رئيس مجلس الحكماء:

- السيد المرشح! موضوع الإسهال لا يدخل ضمن اختصاصات دنسكو.

- صحيح، سيدي رئيس حكماء العالم. ولكن علينا أن نتذكر أن ٧٣٪ من المنظمات الدولية تقضي ٦٤٪ من وقتها في معالجة أمور خارجة عن اختصاصها.

جاء دور حكيم القارة العذراء الذي سأل المرشح:

- أود أن أعود إلى الاجتماع. هل هناك مجال معين ترى التركيز عليه؟

- سؤال ممتاز، سيدي الحكيم. والجواب هو الجريمة. والاغتصاب بصفة خاصة. ولعل من المفيد أن أذكر أن المدينة التي تقود العالم في عدد جرائم الاغتصاب هي لانسنج حيث يصل احتمال اغتصابك، عفواً، أعني لو كنتَ امرأة سيدي الحكيم، ١ من ٦٣٧، وتأتي بعدها، مباشرة، بيمونت حيث تصل...

قاطعه الحكيم:

ـ وهل لديك حلّ لهذه المشكلة؟

ـ بكل تأكيد! أنوي أن أطارد بيل جيتز، مرة ثانية، ليمنحني جهاز كومبيتر لكل مغتصب بحيث يتسلى به ويتخلى عن عادة الاغتصاب.

❀ ❀ ❀

رحّب رئيس مجلس الحكماء بمرشح قارة الروسلاند، وقال:

ـ السيد المرشح! الكلمة لك الآن.

نظر إليه المرشح، باستغراب وقال:

ـ شكراً! شكراً! لا أتذكّر أني طلبت الكلام.

إبتسم الرئيس، وقال:

ـ نحن نبدأ المقابلة، عادة، بكلمة من المرشح، تعقبها الأسئلة.

ـ حسناً! حسناً! سوف أحدّثكم عن السر الحقيقي للخلاف بين فرويد ويونج، وهو سرّ لم أستطع العثور عليه إلا بعد أن قضيت أكثر من ربع قرن أنقب...

قاطعه رئيس المجلس بأدب:

ـ السيد المرشح! سوف نتحدث عن هذا الموضوع الهام في وقت آخر. ولكننا نود الآن أن تحدثنا عن برنامجك.

ـ آه! بطبيعة الحال! برنامجي؟ سؤال غريب بعض الشيء. هل تنوون تحليل نفسيتي؟ برنامجي بسيط جداً. أصحو الساعة السابعة صباحاً وأتناول...

كتم الحكماء الضحك، وقال رئيس المجلس:

ـ السيد المرشح! أقصد البرنامج الذي تقترحه لدنسكو.

نظر إليه المرشح بحيرة، وقال:

ـ هل ظلت دنسكو طيلة هذه السنين تعمل بلا برنامج؟

تجاهل رئيس المجلس السؤال، وقال:

ـ أعطي الكلمة لحكيم القارة العظمى.

قال الحكيم:

ـ السيد المرشح! هل لديك أفكار مُحدّدة لحماية الطبيعة؟

ـ حماية الطبيعة؟ بكل تأكيد.

ـ ما هي؟

ـ ما هي ماذا؟

ـ أفكارك المتعلقة بحماية الطبيعة.

ـ هل الطبيعة في خطر؟

نظر رئيس المجلس إلى حكيم القارة الجنوبية الذي سأل المُرشح:

ـ ما هو رأيك في ميزانية دنسكو؟

ـ رائعة! رائعة! متوازنة.

ـ هل تؤمن بمبدأ النمو الصفري؟

ـ ما هو النمو الصفري؟

ـ هو أن تبقى الميزانية على نفس وضعها بلا زيادة سنة بعد سنة.

ـ هذا شيء معيب. النمو قانون من قوانين الحياة، والأشياء التي تتوقف تتجمد ثم تعجز عن الحركة.

ـ وماذا تنوي أن تفعل لتغيير المبدأ؟

ـ أي مبدأ؟

ـ مبدأ النمو الصفري.

ـ عفواً! ما هو النموّ الصفري؟

تنهد رئيس المجلس ونظر إلى حكيم قارة عربستان الذي قال:

ـ السيد المرشح! ما رأيك في برنامج دنسكو لحماية المناطق الأثرية؟

ـ برنامج أثري! أعني أنه برنامج رائع. رائع بكل معاني الكلمة.

ـ هل لديك أفكار تتعلّق بتطويره؟

ـ بطبيعة الحال! بطبيعة الحال!

ـ ما هي ؟

ـ سوف أطبق على البرنامج مبدأ النمو الصفري.

جاء دور حكيم قارة الروسلاند الذي سأل المرشح:

ـ السيد المرشح! هل ترى أن هناك خدمات إضافية تستطيع دنسكو تقديمها للجامعات؟

ـ بكل تأكيد.

ـ ما هي؟

ـ جامعتي على سبيل المثال تحتاج إلى خدمات صيانة وتكييف. . .

قاطعه الحكيم:

ـ أقصد خدمات أكاديمية.

ـ تستطيع دنسكو دفع رواتب جميع الأساتذة في جميع الجامعات في العالم وبهذا تؤدّي خدمة أكاديمية لا تقدر بثمن.

قال رئيس المجلس:

ـ الكلمة، الآن، لحكيم القارة العذراء:

ـ السيد المرشح! هل لديك آراء لتطوير نشاط التنظيم؟

ـ أنا أرى أن قسم التنظيم يعمل بصفة منتظمة.

ـ ألا تنوي إدخال أي تغييرات؟

نظر المُرشّح إليه بإستغراب شديد، وقال:

ـ تغييرات على ماذا؟

جاء دور حكيم قارة الفرنجة الذي سأل المرشح:

السيد المُرشّح! لماذا تقدمت بترشيح نفسك؟

ـ لم أرشح نفسي. رشحني الآخرون.

ـ لماذا قبلت الترشيح؟

ـ كانت هناك أسباب وجيهة جداً.

ـ ما هي؟

ـ أخشى أنني نسيتُها الآن.

❁ ❁ ❁

رحّب رئيس مجلس الحكماء بمُرشّح القارة العظمى ودعاه إلى الحديث عن برنامجه.

هزّ المرشح رأسه، وقال:

ـ تطوير أداء دنسكو في كل المجالات، الآثار والطبيعة والاجتماع والمعرفة والتنظيم.

قال الرئيس:

ـ وكيف تنوي القيام بذلك؟

هز المرشح رأسه، وابتسم، وقال:

ـ عن طريق دراسة علمية دقيقة.

سأله رئيس المجلس:

ـ ألا تنوي إضافة شيء آخر؟

هزّ المُرشّح رأسه، وابتسم، وقال:

ـ لا.

نظر الرئيس إلى حكيم القارة العظمى الذي قال للمُرشّح:

ـ لنبدأ بالآثار. ماذا تنوي أن تفعل لتحسين الأداء؟

هزّ المرشح رأسه، وابتسم، وقال:

ـ أنوي القيام بدراسة علمية دقيقة لتحسين الأداء في مجال الآثار.

ـ هل يمكن أن تخبرنا المزيد عن هذه الدراسة؟

ـ لا.

أعطى رئيس المجلس الكلمة لحكيم القارة العذراء الذي سأل المرشح:

ـ وماذا عن حماية الطبيعة؟

هزّ المُرشّح رأسه، وابتسم، وقال:

ـ أنوي القيام بدراسة علمية دقيقة لتطوير الأداء في مجال حماية الطبيعة.

ـ ألا توجد لديك الآن أفكار، أفكار أوليّة، عن التغييرات المطلوبة؟

ـ لا.

جاء دور حكيم الروسلاند الذي قال:

ـ السيد المُرشّح! ماذا عن الاجتماع؟

هزّ المُرشّح رأسه، وابتسم، وقال:

ـ أنوي القيام بدراسة علمية دقيقة لتطوير الأداء في مجال الاجتماع.

ـ من سيقوم بهذه الدراسة؟

ـ لا أدري الآن. سوف أتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

أعطى رئيس المجلس الكلمة لمُرشّح عربستان الذي سأل المرشح:

ـ لماذا رشّحت نفسك؟

ـ لتطوير أداء دنسكو في كل المجالات.

ـ ألا توجد لديك أي طموحات شخصية؟

ـ لا.

جاء دور حكيم القارة الجنوبية الذي سأل المرشّح:

ـ ما رأيك في ميزانية دنسكو؟

ـ تحتاج إلى دراسة علمية دقيقة.

ـ هل تحبّذ قاعدة النمو الصفري؟

ـ تحتاج الإجابة إلى دراسة علمية دقيقة.

أعطى رئيس المجلس الكلمة لحكيم قارة الفرنجة الذي تردد قليلاً، ثم قال:

ـ السيد المرشح! اعذرني إذا قلت إننا لم نحصل منك على أي شيء يمكننا من الحكم على مؤهلاتك.

هزّ المرشح رأسه، وابتسم، وقال:

ـ يمكنك إجراء دراسة علمية دقيقة عليّ.

ـ حسناً! ما رأيك في نفسك؟

صمت المرشح في حيرة، ثم قال:

ـ آسف! لا يوجد في برمجتي جواب على هذا السؤال.

علت همهمات استغراب من كل مكان، وقال رئيس المجلس:

ـ برمجتك؟ هل أنت روبوت؟

هزّ المرشح رأسه، وابتسم، وقال:

ـ نعم. أنا روبوت ماركة ٢٠٠١. نسخة طبق الأصل من الإنسان.

ـ هل أنت تمزح؟

ـ أنا مبرمج على عدم المزح.

ـ هل تكذب؟

ـ أنا مبرمج على عدم الكذب.

انفجر الحكماء ضاحكين، ونظر المرشح إليهم وهز رأسه، وابتسم:

ـ آسف! لا يوجد في برمجتي رد على الضحك الجماعي.

الفصل التاسع

الإنتخاب

سبتمبر ١٩٩٩

بدأ رئيس مجلس الحكماء جلسة الانتخاب بقوله:

ـ السادة الزملاء الحكماء! سوف نتّبع التقاليد والطقوس المعهودة. لن نتحدث عن أيّ مرشح. وسوف أوزّع على كل منكم قائمة تحمل أسماء المرشحين. وسوف يقوم كل واحد منا بوضع علامة × على المرشح الذي يختاره. ثم يذهب إلى الصندوق الأسود ويلقي الورقة فيه. ثم أقوم بجمع الأوراق، وأعلن النتيجة. سوف أقول: «حصل المرشح الفلاني على الأغلبية»، أو «لم يحصل أحد على الأغلبية». من حق أي حكيم أن يسألني عن التفاصيل. أو يطلب رؤية الأوراق. بعد ذلك، سأحرق الأوراق.

لم تستغرق العملية سوى بضع دقائق في نهايتها استعرض الرئيس الأوراق فوجدها جميعاً خالية من أي إشارة. رفض الحكماء، بالإجماع، أن يصوتوا لصالح أيّ من المرشحين الستّة.

أعلن الرئيس:

- لم يحصل أحد على الأغلبية.

ثم أضاف:

- هل هناك أي أسئلة؟

لم يسأل أحد. وأحرق الرئيس الأوراق، واستدعى سكرتير المجلس.

❁ ❁ ❁

كان المرشحون منتظرين في غرفة جانبية صغيرة عندما دخل سكرتير مجلس الحكماء، وأعلن:

- لم يحصل أحد على الأغلبية.

قال مرشح عربستان:

- ومن الخير بطء سيبك عني ∴ أسرعُ السُحبِ في المسيرِ الجَهامُ

وقال مرشح قارة الفرنجة:

- «يا ريح الشتاء! اعصفي! اعصفي!

أنت أقل قسوة

من جحود الإنسان».

قال مرشح القارة العذراء:

- ثبت، إحصائياً، أنه في الدورة الأولى...

ثم أُغمي عليه.

قال مرشح القارة الجنوبية:

- الكلاب!

قال مرشح قارة الروسلاند:

ـ ماذا حدث؟ ماذا حدث؟

أما مرشح القارة العظمى فاكتفى بهزّ رأسه، والابتسام.

❁ ❁ ❁

في مكتبه تبادل المدير التنفيذي وسونيا التهنئة والقبلات الحارة.

❁ ❁ ❁

جرت الدورة الثانية من الانتخاب كما جرت الدورة الأولى تماماً، وبنفس النتيجة.

❁ ❁ ❁

قال سكرتير المجلس التنفيذي للمرشحين:

ـ لم يحصل أحد على الأغلبية.

تنهد مرشح عربستان، وأنشد:

ـ ولو كان ما بي من حبيبٍ مُقنَّعٍ ∴ عذرتُ.. ولكن من حبيب مُعمّمِ

زفر مرشح الفرنجة، وقال:

ـ «إذا كان لا بد من الموت،

فسأتخذ الظلماء عروساً،

وأحضنها بذراعيّ».

وقال مرشح القارة العذراء:

ـ ثبت، إحصائياً، أن في الدورة الثانية...

ثم أُغمي عليه.

قال مرشح القارة الجنوبية:

ـ الخنازير!

التفت مرشح الروسلاند إلى مرشح القارة العظمى، وسأله:

ـ ماذا حدث؟ ماذا حدث؟

هزّ مرشح القارة العظمى رأسه، وابتسم.

❁ ❁ ❁

تكرر في الدورة الثالثة ما حدث في الدورتين السابقتين.

❁ ❁ ❁

أعلن سكرتير المجلس النتيجة، فوقف مرشح عربستان وتأمل زملاءه، ثم أنشد:

ـ عرفت الليالي قبل ما صنعتْ بنا ∴ فلما دهتْنا لم تزدنا بها علما

وقف مرشح قارة الفرنجة، بدوره، وقال:

ـ «يا له من مجنون،

هذا الذي يعتمد،

على وداعة الذئب،

وصحّة الحصان،

وقسم العاهرة.»

قال مرشح القارة العذراء:

ـ ثبت، إحصائياً، أن في الدورة الثالثة...

ثم أُغمي عليه.

بصق مرشح القارة الجنوبية على الأرض، وقال:

ـ أبناء العاهرة!

نظر مرشح الروسلاند إلى مرشح القارة العظمى وقال:

ـ ماذا حدث؟ ماذا حدث؟

هزّ مرشح القارة العظمى رأسه، وابتسم.

❀ ❀ ❀

تكرّر في الدورة الرابعة ما حدث في الدورات السابقة.

❀ ❀ ❀

دخل سكرتير المجلس التنفيذي فوجد المرشحين يتمشون في الغرفة الصغيرة، ويصطدم الواحد منهم بالآخر، باستثناء مرشح القارة العظمى الذي ظل، مبتسماً، في مكانه. تأمل المرشحين، وقال:

ـ لم يحصل أحد على الأغلبية.

قال مرشح عربستان:

ـ أنت الحبيب... ولكنّي أعوذ به ∴ من أن أكون مُحبّاً غير محبوبِ

مسح مرشح الفرنجة دمعة فرت من عينه، وقال:

ـ «أيها الجحود!

أنت شيطان له قلب من المرمر»

قال مرشح الروسلاند:

ـ آه! المرمر! هل انتَخب المرمر؟

نظر إليه مرشّح القارة الجنوبية بغيظ، وقال:

ـ الحمقى المغفلون!

أما مرشح القارة العذراء فوقف وبدأ:

ـ ثبت، إحصائياً، أنه في الدورة الرابعة...

ثم أُغمي عليه.

نظر مرشح القارة العظمى إلى زملائه، وهز رأسه، وابتسم.

❀ ❀ ❀

تكرّر في الدورة الخامسة ما حدث في الدورات السابقة.

❀ ❀ ❀

عندما سمع المرشحون النتيجة، قال مرشح عربستان:

ـ واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الأجسامُ

زفر مرشح الفرنجة، وقال:

ـ «عندما تأتي الأحزان

لا تأتي فُرادى

ولكن جماعات».

قال مرشح القارة العذراء:

ـ ثبت، إحصائياً، أنه في الدورة الخامسة...

ثم أغمي عليه.

بصق مرشح القارة الجنوبية على الأرض، وقال:

ـ الأحذية القديمة!

نظر مرشح قارة الروسلاند، وسأله:

ـ هل انتخبوا الأحذية القديمة؟

أمّا مرشح القارة العظمى فاكتفى بهز رأسه، والابتسام.

❁ ❁ ❁

نظر رئيس مجلس الحكماء إلى الأوراق، ثم إلى زملائه، وقال:

ـ فشل المجلس بعد ٦ دورات في اختيار مرشح. هذا أمر لم يحدث من قبل في تاريخ الإدارة.

تساءل حكيم القارة العظمى:

ـ والخطوة التالية؟

رد الرئيس:

ـ نتبع ما جاء في الميثاق. نجتمع غداً ونتخذ القرار المطلوب. القيد الوحيد هو ألا ننتخب واحداً منّا.

❁ ❁ ❁

تحوّلت التهنئة المتبادلة بين المدير التنفيذي وسونيا إلى عناق عنيف كاد أن يتحول إلى ممارسة فعلية للحب لولا التيلفون الذي رنّ فجأة.

❁ ❁ ❁

ساد وجوم عميق عند سماع المرشحين النتيجة، وخيّم صمت طويل، لم يقطعه إلا صوت المرشح العربستاني:

ـ ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه ∴ تجري الرياح بما لا تشتهي السُفن

بصق مرشح القارة الجنوبية على الأرض، وعلى الجدران، وعلى الأثاث، وعلى بقية المرشحين، وغادر الغرفة.

وقف مرشح القارة العذراء، وقال:

ـ ثبت، إحصائياً، أنه بعد الدورة السادسة...

ثم خرّ ميتاً بالسكتة القلبية.

تلفّت مرشح الفرنجة حوله، وقال:

ـ «آه!

من لي بحصان مُجنّح؟!»

نظر إليه مرشح الروسلاند باستغراب، وقال:

ـ إنتخبوا حصاناً مجنحاً؟! عجيب! لم أره بين المرشحين. يبدو أنه مرشّح اللحظة الأخيرة.

اكتفى مرشح القارة العظمى بهز رأسه والابتسام.

الفصل العاشر
المدير التنفيذي الجديد

سبتمبر ١٩٩٩

خرج رئيس اتحاد قارة الفرنجة من غرفة النوم، وأغلق الباب وراءه، واتجه إلى باب الجناح الفاخر، وقاد ضيفه إلى الصالون.

قال رئيس مجلس الحكماء:

- لم يستطع المجلس اختيار أحد من المرشّحين.

إبتسم رئيس اتحاد الفرنجة، وقال:

- حسناً! تستطيعون الآن اختيار من شئتم دون أي قيد.

- السيد رئيس الاتحاد! هذا صحيح ولكن قل لي، بحق السماء، من أين نأتي بمرشح جديد خلال ٤٨ ساعة؟ لهذا ألجأ إليك. قرر الزملاء الحكماء الاستئناس برأيك. قارة الفرنجة تدفع ٧٤٪ من ميزانية دنسكو ومن العدل أن يكون لها رأي في المدير التنفيذي القادم.

صمت رئيس اتحاد الفرنجة مُفكّراً، وبعد دقائق، اصطحب معه رئيس مجلس الحكماء إلى باب الجناح، وقبل خروج الرئيس، همس

في أذنه. ابتسم رئيس مجلس الحكماء، ولم يقل شيئاً.

عاد رئيس اتحاد الفرنجة إلى غرفة النوم واستلقى بقرب المرأة العارية ذات الشعر الأشقر القصير والصدر المتفجّر، وقال:

ـ لا تقلقي! لا تقلقي! رغم كل المظاهر والظواهر لم يسبق أن تولّى هذه الإدارة أحد إلا بقرار من اتحاد قارة الفرنجة.

إبتسمت المرأة، وقبّلته بحرارة.

❁ ❁ ❁

بدأ رئيس مجلس الحكماء الجلسة بقوله:

ـ سوف نراعي الطقوس نفسها. لن يكون هناك نقاش. سوف أوزّع أوراقاً بيضاء وأطلب من كل حكيم أن يكتب عليها إسم الشخص الذي يختاره. لا يوجد قيد سوى القيد الذي تعرفونه.

استغرقت العملية بضع دقائق في نهايتها جمع الرئيس الأوراق وابتسم، وقال:

ـ نجحنا في تعيين مدير إداري جديد.

قال حكيم القارة العذراء:

ـ هل بالإمكان أن أسأل عن عدد الأصوات؟

قال الرئيس:

ـ إجماع! ٧ أصوات!

صفّق الحكماء، وتبادلوا التهنئة.

❁ ❁ ❁

ما إن دخلت سونيا غرفة المدير التنفيذي حتى وقف بلهفة وسألها:

ـ سونيا! سونيا! تحطمت أعصابي! تكلّمي.

ـ روبيرتو! هنّئني!

ـ مبروك! أعيد انتخابي؟ أليس كذلك؟

ابتسمت سونيا، وقالت:

ـ حدثت مفاجأة.

نظر إليها المدير التنفيذي باستغراب، وقال:

ـ مفاجأة؟! ماذا حدث؟

إتسعت ابتسامة سونيا، وقالت:

ـ قرّر مجلس الحكماء اختياري أنا.

جلس المدير التنفيذي، ونظر إلى عشيقته مدركاً من الخبرة الطويلة أنها لا تمزح. اتجهت يده بلا شعور إلى الساعة الذهبية القابعة على مكتبه وقذف بها في اتجاه سونيا، التي تفادتها ببراعة، ووقف يدور حول المكتب، ويهمهم بكلمات غير مفهومة.

جلست سونيا على المقعد وراء الطاولة الكبيرة ورفعت سماعة التيلفون، وقالت:

ـ مسز لايفلاين! أحضري الملفّات.

إقترب روبيرتو من سونيا والشرر يتطاير من عينيه، فوقفت مبتسمة، وقبّلته على جبهته، وقالت:

ـ روبيرتو! يا طفلي الحبيب المُدلّل! إذهب إلى مكتبي. أنا بحاجة إلى كبير مستشارين.



عادت سونيا إلى شقتها قبيل منتصف الليل، تحمل حقيبة مليئة بالملفات، لتفاجئها رائحة دخان منبعثة من ركن في الصالون المظلم. أضاءت الأنوار فوجدت المندوب المؤقت لدولة القارة العظمى رقم ٤٠ يدخّن سيجاراً، ويرشف قطرات من قدح مليء بالبراندي.

قالت سونيا مرتبكة:

ـ ماذا... ماذا... ماذا تفعل هنا؟ سوف أستدعي...

قاطعها المندوب:

ـ ماذا أفعل هنا؟ سونيا! ألم تدركي ما حدث؟ لقد اشتريناك. أصبحت ملكاً لنا. اشترينا جسدك وروحك. وعقلك. وهذه العمارة.

نظرت إليه سونيا مشدوهة، واستمر:

ـ سوف نلتقي هنا مرة كل شهر. وسوف أعطيك التعليمات، وسوف تطبّقينها بدقة.

أدخل المندوب المؤقت يده في جيب معطفه وأخرج ورقة أعطاها لسونيا، وقال:

ـ خلال الأسبوعين القادمين نريد منك أن تعيّني هؤلاء الأشخاص.

ـ تأملت سونيا الورقة المرتعشة في يديها المرتعشتين، وقالت:

ـ أخرج الآن! أرجوك!

أطفأ المندوب الدائم سيجاره في بقايا البراندي، وترك السيجار في القدح، وخرج.



بمجرد خروج المندوب المؤقت أسرعت سونيا إلى التيلفون وأدارت الرقم المألوف. وما إن سمعت الصوت من الطرف الآخر حتى قالت باكية:

- إيزاك! إيزاك! لا تتصور ما حدث! وجدت رجلاً هنا! رجلاً في شقتي! في منتصف الليل!

ضحك إيزاك وايزمن، وقال:

- إهدأي! إهدأي! مجرّد زيارة مفاجئة! لا تتركيها تزعجك. هؤلاء القوم لا يؤمنون بالحكمة المأثورة «إحمل عصا غليظة، وتكلم بهمس».

- إيزاك! سوف أتصل بالبوليس. اقتحم الرجل شقتي.

- سونيا! إهدأي! دعي البوليس جانباً، لن يتكرر الحادث. أعدك أنه لن يتكرر.

- إيزاك! قال لي أشياء غريبة. قال لي...

- حبيبتي! أعرف ما قال لك.

- ولكنني كنت أظن أني أعمل معكم... أعني معك.

- كنتِ، بالفعل، تعملين معنا... أعني معي...

- ولكن المندوب...

قاطعها إيزاك:

- سونيا! هذه الدولة صديقة وحليفة، وكنا نعمل، نحن وهم، معاً طيلة الحملة.

- إيزاك! قال إنني سوف أتلقى تعليماتي منه.

ـ لا تنزعجي. اعتبريها مجرد اقتراحات.

ـ وماذا أفعل بها؟

ـ ناقشيها معي. سوف أخبرك بما يتوجّب عليك فعله. سأكون، دوماً بجانبك.

ـ إيزاك! إيزاك! أنت تعرف كم أُحبك، وتعرف أنني فعلت كل شيء من أجلك، من أجلك وحدك.

ضحك إيزاك وقال:

ـ وأنت تعرفين كم أُحبك. يا أجمل العاهرات في التاريخ، وأعظمهن ثقافة. وأكذبهن!

«قام المدير التنفيذي من مقعده، وأخذ يتجوّل في المكتب، وهو يصرخ كمن أصابه مسّ:

ـ دنسكو للبيع؟! دنسكو للبيع؟! هذه نهاية الحضارة. أوشك أن أقول هذه نهاية العالم. هذه إدارة المعرفة. هذه إدارة المجتمع. هذه إدارة التنظيم. كيف تُعرَض للبيع؟ بهرام! قل انك تمزح. قل انك تداعبني. هذه الإدارة ضمير العالم. من يبيع ضمير العالم؟

.... استمر الصراخ:

ـ تكلّم! تكلّم! ماذا يتبقّى للإنسانية إذا بيعت هذه الإدارة؟ هنا نبض الإنسانية. هنا روحها. هنا أملها. هل يمكن للإنسانية أن تواجه أعاصير الحروب والعولمة والفقر المدقع والإيدز إذا كانت تعرض خط دفاعها الأول والأخير للبيع؟»

ISBN 1 85516 530 9

